

روايات عبير



إيليات بيك

خذ الحُبَّ وازْهَبْ!

وردة قايين

شبكة إيليات الثقافية

١ - الابن والأب

قالت جوزفين نيويل لابنتها:
«ولكن يا حبيبتي، انه يكبرك كثيراً بل هو في الحقيقة أكبر مني»
فردت عليها ماريثا وهي تبسم وتغلق حقيبة سفرها:
«استعري يا أماء، وأكلمي كلامك وقولي ان عمي يقارب أن يكون زوجاً لك»
ثم لفت ذراعيها حول عنق أمها وقبلتها على خدها الخالي من التجاعيد وهي تقول:
«أرجو ان تفهمي أن لا شيء هناك بيننا على الإطلاق»
ردت عليها جوزفين قائلة وهي تنظف جيباتها قلقاً:
«اذن لماذا تفسرين هذه الدعوة لقضاء اجازة الصيف معي؟»
ولم تتمكن ماريثا أيضاً من الاجابة على هذا السؤال. فقد كانت متدحشة
كوالدتها تماماً، فنهزت كتفها وقالت:
«لأنتي أعمل في القسم الذي يرأسه»
«ولكنك لا بد أن تعترفي بأنك عضو صغير بالقسم. كما أن مجرد مساعدة في العمل
لا يعد مركزاً مهماً في السلم الوظيفي للجامعة»
فتنهدت ماريثا وقالت:
«اعترفت من زمان بذكائتي المحدود»
ولكن جوزفين ردت تقول:
«يا حبيبتي الذنب ليس ذنبك لتترك المدرسة قبل إتمام امتحاناتك فلولا وفاة

والدك...»

«لكن أصبحت في القصة يا أمي العزيزة... سمعت هذا الكلام من قبل. وأعدك بأن أنتحق بالدراسات الليلية في الفصل الدراسي المقبل واجتهد لا أكمل ما بدأته من دراستي».

فقال الأم وهي تقطب ثانية:

«ماريتا... بلغت الرابعة والعشرين ولن يمضي وقت طويل قبل أن...»

ضحكت ماريتا وأتمت الكلام تقول:

«أتزوج؟ ليس هناك من أفكر فيه الآن. جيس لطيف ومستقيم وصالح. لكنه لا يحرك عاطفتي».

«أذن يبقى البروفيسور تيودور أليس كذلك؟ فلا تقولي انه دعاك الى منزله لمساعدته في العمل».

«أنا لست مهولة لذلك».

«أذن انه مهتم بك لشخصك، أعرف أساليب الرجال يا عزيزتي».

«حتى ولو كان في الثانية والخمسين من عمره».

«وخصوصاً اذا كان في الثانية والخمسين من عمره. انني أبلغ من العمر الثامنة والاربعين، والرجال في هذه السن، ولاسيماً الأرامل مثله، يحتفظون بكل قواهم العقلية وشعورهم وغرانتهم».

ضحكت ماريتا واحتضنت والدتها وقالت:

«سوف تصفين لي حياة الطيور والنحل كذلك».

ثم سمعنا جرس الباب يدق دقتين منتظمتين ويهدأ ساد سكون... فهست جوزفين تقول وهي تنظر الى السلم:

«لقد وصل».

قالت ماريتا:

«اذهي للقائه فانا نسيت أن أضع بودرة التلك في الحقيبة».

وأخذت تغلق حقيبتها ثانية عندما سمعت والدتها وصوت البروفيسور يصلان اليها من السلم. كان صوت والدتها عالي الثبرات يزحج بقدم الضيف بخجل...

وتذكرت ماريتا أن والدتها لم تقابل أستاذاً من قبل. أما الصوت الثاني فكان سريعاً ودقيقاً يعكس شخصية البروفيسور ويمرر تفكيره.

وما لاشك فيه أن والدتها كانت منبهة بلقاء هذا الشخص المرموق، وكان ندائها من الدور الأول وهي تقول: لا تجعلي السيد... الدكتور... البروفيسور تيودور ينتظر. لا يدل على مدى اضطراب والدتها فحسب بل، لدخلة ماريتا كان بمثابة صرخة لطلب المساعدة والدخلة منها.

وكانت والدته ماريتا تعتبر مضيفة ممتازة في حياة زوجها الذي كان يتبوأ مكاناً مرموقاً في عالم الصناعة، ولم تكن تتأثر بمقابلة الناس ولكن هذه المرة شعرت بأنها تشد عن هذه القاعدة.

ومنذ سنوات مضت بدأت ماريتا تعمل في قسم البروفيسور تيودور وكانت تعد نفسها محظوظة لتعيينها في هذا المركز العلمي بالرغم من كفاءتها المحدودة قليلاً. كما كانت والدتها تسمعها تذكر بكل تبحر واحترام هارفورد تيودور. وتسع الكثير عن كل أعماله ومنجزاته. لكن ماريتا كانت تعتقد أن والدتها تعجب منه ولا تتصور أنها سوف تقابله في يوم ما.

وأثناء هبوط ماريتا السلم كانت تفكر انه بالرغم من بلوغ تيودور الثانية والخمسين من عمره، لابد للمرء أن يعجب بشخصه، فهو ذكي لا مع بنظراته اللامعة الشاملة وهو يتلقى المعلومات وينسقها في كمبيوتر ذهنه. ثم تظهر النتائج لشوها، كما انه وسيم يجمع الذكاء والكياسة. طويل القامة - موهوب تمل حركاته المريعة على حيوية زائدة، وتتحنى كثفاً في تقوس خفيف. ويتخلل شعره بعض الشعرات البيضاء، أما لحينه المديبة فهي تناسبه تماماً.

ولما جلست ماريتا في مقعدها في السيارة راحت تراقب مناظر ريف شرفي أنغليا تعبر أمامها وتتساءل:

«هل حقاً البروفيسور تيودور مهتم بها شخصياً؟ فالوالدات دائماً يتخيلن أشياء لا وجود لها».

بدأ كل شيء في يوم بالعمل وقت الغداء وماريتا تطل من النافذة، بينما كان جيس مهتماً بإحدى التجارب العملية حين سأله ماريتا:

«ما اسم ذلك الطير الذي يقف على النجيل يا جيمس؟ اننا لا يمكننا التعرف بين الطيور».

فسمعت صوتاً يرد عليها قائلاً:

«انه العصفور الأسود أنسة نيوبيل، وإذا دقت النظر قليلاً لعرفت ذلك».

التفتت ماريتا لتري وجه البروفيسور تيودور فقالت:

«أسفة ظننت أنني أخاطب جيمس ولكن هل تفهم في حياة الطيور يا بروفيسور؟»

فرد برقة قائلاً:

«أمارس هواية الاهتمام بالطيور في وقت فراغي لأنها هوايتي وموضع اهتمامي، ولدي منزل كبير في الريف الجا إليه في عطلات نهاية الأسبوع وفي اجازاتي. وبالمثل حديقة واسعة جميلة، ومكان أختبئ فيه فأرى الطيور بينما هي لا تراني».

ومن يومها أصبحت ماريتا مهتمة تدريجياً بهواية البروفيسور تيودور ثم أعارها كتاباً يمكنها أن تتعرف على الأنواع المختلفة من الطيور، وقد حدث مرة أن عاد مبكراً من الغداء فاصطحبها للتنشية في حرم الجامعة حيث كان يعرفها على الطيور الموجودة هناك، ويخبرها عن عاداتها في بناء أوكارها وطرق هجرتها. ثم سمع ذلك الدعوة إلى منزله. وقد أدهشتها تلك الدعوة لكنها قبلتها على الفور. إذ قال لها بحماسة:

«سأريك المخبأ الذي أراقب منه الطيور أنسة نيوبيل. وباشرا في سوف تصبحين مرجعاً مثلي في دراسة الطيور».

وقالت والدتها: «انه يهتم بك لشخصك»، لكنها كانت محبطة في ذلك... وكلما قرب الطريق إلى منزله نقص الشعور بالتباعد الذي سببه علو السلم الوظيفي الذي يتبوأه. فقد خلق ثوب العلم والمعرفة وأصبح إنساناً عادياً يتكلم في كل شيء.. مثل عملية الشراء من متجر القرية عندما تنسى مشرفة منزله السيدة فيسك، شراء بعض ماكنتته في قائمة المشتريات.

ولكن ماريتا لم تنخلص نهائياً من الشعور بالمحالة التي تحيط به، فهي

الآن تجلس بجوار الرجل الذي كانت إلى وقت قريب تعتبره ينتمي إلى عالم آخر غير عالمها. فقد وضع كتباً اعتبرها معاصروه قمة في مادتها، وأوصى خبراء التعليم باستعمالها كتباً دراسية.^١

ان البروفيسور تيودور يعتبر خبيراً عالمياً في فرع هام من فروع مادة تنقية المعادن، ولذلك اختير عن جدارة كمي يكون أستاذاً لمادة تنقية المعادن لسنوات طويلة وفي سن مبكرة نسبياً. كما كانت مؤهلاته عالية. وكانت ماريتا تفكر وهي تصغي له وهو يتكلم عن منزله ومزاياء انها لا تعرف عنه شيئاً إلا انه أرمل لسنوات طويلة، ولم يشر قط إلى ان له أسرة ولذلك استنتجت ان ليس له اولاد.

وانعطفت السيارة في زاوية معينة بالنصف الشمالي من ممر السيارات. وكانت السيارة كبيرة وبراقة زرقاء اللون، لكن المنزل هو الذي أدهش ماريتا لفخامته وحجمه وعراقته، فلابد أنه بني منذ أكثر من مائتي سنة. وكان مبنياً بالطوب الأحمر، والنبات يتسلق جدرانها ويضفي جمالاً على لونه.

ثم أشار البروفيسور تيودور إلى شعار العائلة المعلق فوق نوافذ الدور الثاني وقال:

«هذا الشعار ليس لي بل يخص مالك المنزل الأصلي فقد اشتريت المنزل من أحد ورثته، سيدة توني زوجها وأرادت أن تتزوج ثانية بعدما تتخلص من مسؤولية هذا المنزل الضخم. وقد كنت سعيد الحظ لأنني ورثت عن جدي الثري المال لأشتري مثل هذا المنزل، وأعترف أن هذا المنزل يعتبر وسيلة لارضاء النفس».

ثم نزل من السيارة واستدار ليفتح بابها وأردف يقول:

«يمكنني جعل هوايتي في مراقبة الطيور تملأ كل قلبي».

فسأله ماريتا:

«وهل تسافر يومياً إلى الجامعة من هنا؟»

ضحك وهو يرى في هذا السؤال سذاجة لطيفة ثم رد يقول:

«لا، لي شقة بجوار الجامعة. ولكني أعود إلى هنا في عطلات آخر الأسبوع».

وانتظرت ماريتا حتى أحضر البروفيسور تيودور امتعتها من السيارة.

ثم قال وهو في طريقه الى مدخل المنزل:

«أرجو لك إقامة طيبة هنا معي».

ثم ابتسم وهو يفتح لها الباب الضخم وقال:

«انتي أتطلع الى تدريس تلميذتي المجددة الجديدة مادة العناية بالطيور، وبث روح المحاسة والمحبة التي أشعر بها نحو هذه الحواشي في نفسها».

ولكن ماريئا شعرت ببعض القلق، فربما خذلتها بعدم اهتمامها بالاهتمام الكافي الذي ينتظره مقابل كرم دعوتها لها، وأقسمت أن تقرأ كل كتاب يعبره لها.

وجدت البهو واسعاً مهيباً، وسفحه عال، وأرضيته الخشبية تلعب من نظائرها. أما الدرج المرفوش فكان على جانب من البهو.

ثم ظهرت سيدة نحيلة طويلة القامة أنية من جناح الخدم تبسم لماريئا. ولكن تتخلل هذه الابتسامة نظرة دهشة اتسعت معها عيناها. ثم مدت يدها قائلة:

«أنا السيدة فيسك، مشرفة منزل الدكتور تيودور الدكتور هارفورد تيودور...»

ولاحظت ماريئا ان السيدة فيسك، ركزت في النطق على اسم الدكتور الأول، ولكن لم تعر الأمر اهتماماً لا تشغلها بما حولها من أشياء جديدة.

وجلت السيدة فيسك حقيبته ماريئا قائلة للبروفيسور:

«جهزت حجرة الضيوف كما أمرتني يا بروفيسور تيودور».

فأومأ برأسه وربت بيده على كتف ماريئا قائلاً:

«موعد العشاء في الساعة، لكن اذا احتجت الى الراحة فيمكن تأجيل مواعده...» هزت رأسها ضاحكة وهي تقول:

«السفر في سيارتك لمدة ساعة أو ساعتين ليس بالأمر المتعب».

جاراها في الضحك كتقديره لهذا المزاج... ثم قال لها:

«عندما تفرغين من تغيير ملابسك، الحقني بي في غرفة الاستقبال الرئيسية».

تبع ماريئا السيدة فيسك الى السلم، وفي المنحنى نظرت بدون أن

تدري الى تيودور فرأته واقفاً يتابع صعودهما وهو ينظر اليها في تفكير عميق. ففسرت هذه النظرة بأنه يسأل نفسه ان كانت تستمتع بوجودها في هذا المنزل مع رجل يشكو من الوحدة. ثم راجعت أفكارها قائلة: «نعم مع رجل وحيد» ووجدت غرفة النوم واسعة، أما المدفأة فمزينة بنقوش ورسوم متداخلة. وكان الأثاث ينتمي الى العصور القديمة والصور تعكس تلك العصور، ووسط السفن ثريا من الكريستال المزخرف.

ووجدت السرير عبارة عن أريكة عصرية كأحدث ما تعرضه محلات الأثاث، أما منضدة الزينة والخزان فكلها من الخشب المزخرف برسومات الورود المتداخلة وانعكست هذه الرسومات في الستائر التي كانت تتأيل مع النسيم وتلطف حول نافذتي الغرفة في إطار جميل. وعلى جانبي المدفأة مقعدان اخضيا على المكان جواً يوحي بالشعور بالراحة.

ورأت ماريئا من باب جانبي جزءاً من الحمام فشعرت بسرور عظيم. ولما دخلته اكتشفت انه كان غرفة لارتداء الملابس ملحقه بغرفة النوم في الماضي. ثم حوّل الى حمام خاص ملحق بحجرة الضيافة.

ولما سمعت كلمات البروفيسور وهو يقول لها: «عندما تفرغين من تغيير ملابسك» توقعت أن يكون من عادته إرتداء الملابس الرسمية أثناء العشاء. فأخرجت من حقيبتها تنورة منقوشة بالزهور وبلوزة بيضاء بدون أكمام مصنوعة من الدانتيل.

وكان البهو ساكناً عندما نزلت ماريئا الدرج بهدوء، وعندما وصلت الى نهايته سمعت من بعد أصواتاً كثيرة وداعبت أنفها رائحة الطعام الشهية. فشعرت بالجموع الشديد يلاحقها ويمتزج باضطراب مشاعرها، فارتجفت ولامت نفسها لجوعها لأنها لم تتناول شيئاً منذ وجبة الغداء. ثم عبرت البهو الى باب مفتوح قليلاً وسألت نفسها هل دعاها مضيفها لموافاته في غرفة الطعام أم في غرفة الاستقبال، لم تجده في غرفة الطعام لكنها لم تتراجع، فالغرفة لم تكن خالية اذ رأت رجلاً يدير ظهره ويطل من إحدى النوافذ. له قامة طويلة وشعره البني الفاتح يتموج حتى ياقة قميصه المخطط. كان يضع إحدى يديه في جيب

بتطلونه ويمسك بكأس بالآخرى. وكانت مارييتا قد دخلت بهدوء فلم يشعر بها، وظنت أنها إذا حبست أنفاسها وتراجعت من الغرفة بدون أن تستدير ربما أمكنها الهرب من الغرفة بدون أن يراها.

ويبدو أنه قد سمع خطواتها فاستدار إليها. ثم ارتسم على وجهه تعبير دهشة شديدة شلت حركة رتيبه فلم يتكلم، كما ضاقت عيناه وقطب حاجبيه الكثيفين الداكنين. وكان أنفه مستقيماً وفمه واسعاً وتسم شفتاه بالسخرية. وربما بالمرارة. وشعرت مارييتا أنها ارتجبت ذنباً فأصلحت من وقفاتها. وتساءلت عمن يكون ذلك الرجل الذي أصابها بذلك الشعور الجارف بالذنب؟ وكان يرتدي سترة رمادية متقنة الصنع تسدل في تناسق على جسمه. وكان رباط عنقه أحمر داكناً يتناسب مع خطوط قميصه.

شعرت أنها لا بد أن تبدأ الحديث. ولكن ماذا أغضب منها؟ هل لاحظ أن بلوزتها تكشف عن جسمها؟ أو هل غالت في استعمال ظلال عينيها؟ أو هل استعملت الكثير من طلاء الشفاه؟ وشعرت أنها ربما أخطأت بحضورها إلى هذا المنزل ولكن عقلها هداها بعكس ذلك لأن البروفيسور تيودور دعاها إلى منزله ولما الحق بالبقاء فيه بالرغم من نظرة عدم الترحيب التي تراها في عيني هذا الشاب الرماديتين.

وبدأت تقول:

«أنا أسفة».

كان هذا كل ما أمكنها قوله ثم أردفت تقول وهي تتراجع:

«سوف أذهب فلم يكن في نيتي أن أضايقك».

«أذن أنت صديقة والذي؟»

«صديقة البروفيسور تيودور».

«ألم يذكرني أبي لك؟ ولكن هذا لا يدهشني فقد حاول أن ينسى ذلك لمدة اثنين وثلاثين عاماً».

وبعد فترة طويلة من الصمت أخذ ابن البروفيسور خلالها يتفحص مارييتا كناجر المجوهرات حين يتفحص قطعة من الأحجار الكريمة، ثم استأنف حديثه:

«انتي أعترف بذوقه».

ثم ارتكز بظهره على حافة النافذة ورشف من مشروبه وقال:

«ربما يفتن رأبي إلى الحكمة. وربما كان لا يتحفظ ولكنه يمتاز بالذوق».

شعرت مارييتا بالجمود ولاحظت أنه كلما شعرت بالتوتر أخذ هو يشعر بالارتياح فقالت له:

«اني أسفة يا سيد تيودور، لأنني لا أفهم ماذا تقول».

فقاطعها قائلاً:

«اسمي رايلان. كل صديق لوالدي هو صديقي. دعيني أقدم لك شراباً...»

ثم اعتدل في وثفته وعبر الغرفة إلى منضدة صفت عليها زجاجات الشراب المختلفة.

«أنا لست صديقة والدك. ولكني أعمل في القسم الذي يرأسه».

«انك تدهشينني».

واستدار وقدم لها كأساً من الشراب فقبلته شاكراً. ثم ملأ كأسه ثانية.

وأضاف بعض الصودا إليه ثم ارتكز على المائدة يكاد يجلس عليها وقال:

«انك متعلمة وجميلة. ولك مزايا كافية أن تجعلك تتقاربين مع مستر أبي

الرفيع. انه يشترط ان يعمل مع الصفوة من المساعدين الأذكياء. أخبريني عن

مستوى ذكائك».

قال ذلك وهو ينظر إليها بتكاسل. وتدل نظراته انه يهتم بأشياء أخرى بجانب

ذكائها.

فقالت له:

«أنا مساعدة في المعمل».

ولكنها كانت تمنى من كل قلبها أن تحو من عينيه تلك النظرة التي لا تكن

لها الاحترام، والتي كانت لسبب غير مفهوم تشدها إليه.

ثم انفجر ضاحكاً وهو يقول:

«مساعدة في المعمل؟»

فاحمر وجه مارييتا غضباً. وشعرت أنها أوشكت على البكاء.

وسمعه يقول:

«هذا غريب مثل الأمير والخادمة. البروفسور ومساعدة المعمل الصغيرة».

ارتجفت شفتا ماريتا وراح ينظر إليها غابت ابتسامته وحلت مكانها نظرة اهتمام. وعندما تلفت لتجد مكاناً تضع فيه كأسها اقترب منها وقال وهو يضع يده على ذراعها:

«لا... لا دعينا نشرب نخباً أولاً».

فجاهدت كي تحافظ على كرامتها وعلى هدونها وردت قائلة:

«شكراً. ولكنني لن أشرب معك نخباً».

وابتسم ابتسامة غريبة وقال:

«تعال، فقد نتألف في المستقبل من غير أن ندري... ومن يدري ماذا يخفى» القدر لنا».

ثم رفع كأسه ونظر إلى المشروب الذهبي وكأنه ينظر إلى كرة الكريستال التي يقرأ فيها العرافون الحظ وقال:

«إن في ذهني شيئاً هوشياً. ملهم. ولكنني سوف أحتفظ به كسر من الأسرار. قال المستقبل أنسة...»

ورفع حاجبيه يطلب الرد.

«نيويل...»

«أنسة نيويل، إلى المستقبل الذي لا يصدق عقل».

ثم تقارعت كأسهما.

وبينما هما يشريان النخب سمعا صوتاً بالباب يقول:

«الدكتور تيودور يا عزيزتي ماريتا، أقدم لك الدكتور رايمان تيودور»

استدارت ماريتا لتحيي مضيفها وقد اعترافا شيء من التخبط وقالت:

«الدكتور تيودور وهل هناك اثنان؟»

فقال الابن:

«أنه شيء يدعو إلى الحيرة، فكلانا حاصل على دكتوراة في الفلسفة وهي موجودة في نطاق العائلة».

ثم قال الأب وهو يطبع يده على كتف ماريتا:

«إن مؤهلات ولدي العلمية تتساوى مع مؤهلاتي...»

«ولكن المادة تختلف».

فرد الأب يقول:

«لكل منا عالم».

«قأبي كما تعرفين متخصص في تنقية المعادن».

«وابني جيولوجي».

أذن فإن هذا الرجل موهوب كأبيه، وذكاؤه حاد مثله وإدراكه قوي وأفكاره

لماحة، ولكن هل كان في حكمة أبيه وقدرته على وزن الأمور؟ وهل هو يتسم

بالنضج الذي ينظر به إلى الأشياء وفهمها؟

«أنك مستغرقة في أفكارك يا أنسة نيويل. هل يقلقك أن تمضي فترة اجازتك في

صحبة عملاقين من عمالقة الفكر؟ إذا كان هذا الأمر يقلقك فأرجو أن تشعرني

بالراحة، فنحن في المنزل، كما ترين، شخصان عاديان ولا أكثر من ذلك.

وخصوصاً في صحبة امرأة».

كان يقول ذلك وهو يبتسم ولكن عينيه ظلتا جامدتين.

أذن فهذا منزل رايمان تيودور كما هو منزل والده، فهل ستتوافق إقامته مع

إقامتها هنا؟ إن هذا الخطر قد أفلقها وضايقها.

وأخذ رايمان الكأس من يدها قائلاً:

«سأني لك بأخرى. وماذا تشرب يا أبي؟»

فرد عليه البروفسور قائلاً:

«كالمعتك، وشكراً».

ثم طلب البروفسور من ماريتا أن تجلس بجانبه ووضع الوسادة وراء

ظهرها، وكانت تصرفاته تدل على أنه يريد أن يرضيها. ثم ابتسم وسألها:

«هل تشعرين بالراحة يا عزيزتي؟ وهل تحتاجين إلى وسادة أخرى؟»

ووقف الابن أمامها ليقدّم لها المشروب، وقع نظرها على وجهه فإذا به يبتسم

ابتسامة تختلف عن ابتسامة أبيه، ثم يوجه كلاماً كله سخرية كابتسامته:

«هل تريد أن تأتي لك مشرفة المنزل بمسد توضع عليه قدميك يا أنسة نيويل؟ وهل نستخدم خادمة خاصة لك مدة إقامتك هنا؟ وهل تفرش لك الأرض ببساط أحمر أينما ذهبت؟»
فصاح والده وصوته يرتجف من الغضب:

«رايان»

وهنا أدركت مارييتا، والحجل يكسو وجهها من سخرة الشاب، أن الأمور لا تستقيم بين البروفيسور وبين ابنه الشاب. وأرادت أن تغير من الحديث فسألت مضيفها متجاهلة الشاب:

«كم عمر هذا المنزل؟»

«حوالي مائتين وخمسين عاماً. وقد تغير طراز هذه الغرفة في مطلع القرن الماضي، وقسمت إلى غرفتين، أشغل الأخرى كمكتب لي.»
ورأت المدفأة وقد حلت محلها أجهزة التدفئة، وقد زين الجزء الأوسط من سقف الغرفة برسوم أوراق الشجر، وجدران الغرفة مكسوة بالأخشاب.
أما اللصة العصرية الوحيدة الموجودة في الغرفة فكانت لوحة عصرية غامضة معلقة فوق المدفأة.

ثم قال هارفورد نيودور:

«هذه الأريكة من طراز شيبا نيويل، وخزانة الكتب من الطراز الجيورجي والمنضدة التي تحمل المشروبات مصنوعة من خشب الجوز وترجع إلى القرن الثامن عشر. أما المرأة فهي من طراز الملكة أن ومعظم هذه القطع اشتريتها مع المنزل نفسه.
«إنها كلها جميلة.»

ثم قال هارفورد:

«هذا المنزل ممتاز بالبساطة بخلاف غيره من منازل ذلك العصر وكان ذلك من الأسباب التي جعلتني اشتريه. فإن البساطة تروق لي.»
وتساءلت مارييتا: هل تخيلت أن عينيّه ظلتا معلقين بوجهها أم هذا هو الواقع.

ثم قال رايان وصوته يقطر سخرة:
«البساطة تريح رأس أبي المعقد. ولذلك...»
وأحجم عن أن يكمل كلماته فجأة. فهل أخافته نظرة التحدي التي رآها في عيني والده؟
ثم قال لها:

«هل تروق لك الأشياء القديمة القيمة يا أنسة نيويل؟»
ولاحظت أنه ركز على كلمة قديمة قليلاً.

ثم نظرت إليه فجأة. وللمرة الثانية لاحظت ابتسامة السخرة على فمه. فردت تقول:

«إنني أراها في نافذة العرض فقط يا دكتور نيودور.»

«وهل تفتقرين إلى المال لتحصلي على الكماليات؟»

«إنني، كما أخبرتك، مساعدة في معمل فقط.»

وحاولت أن تتفادي نظراته.

«لابد أن أهلك ينتمون إلى أصحاب المداخليل الكبيرة.»

فرد والده يقول:

«رايان لا يجب أن...»

فتدخلت مارييتا تقول وهي تنظر إليه وتبتسم ابتسامة تحدي:

«أبي توفي منذ سنوات مضت وأعيش الآن مع والدتي... استمر في أسئلتك يا دكتور نيودور.»

رفع رأسه وضحك عالياً وأخذ يرشف من مشروبه ثم ينظر إليها مفكراً يلاؤه الفضول وقال:

«سأخذ بكلامك وأسألك سؤالاً آخر ألا تعتقدين أنك أكبر قليلاً من أن تكوني مساعدة في معمل؟»

فرد والده يقول:

«كبيرة يا رايان؟ ماذا تقول، إنها في الرابعة والعشرين فقط إن بعض المساعدين عندها أكبر كثيراً من مارييتا.»

ولم تتحول عينا رايان عن وجه ماريئا وقال:

«ربما لم أحسن التعبير في سؤالي هذا. وربما قصدت أن أقول أنك أكبر من أن تظلي بدون زواج. أنك جذابة للرجال».

فهب البروفيسور تيودور واقفاً وهتف يقول:
«رايان!»

ورايا غضب الذي كان يشعر به وكأن ابنه اعتدى على كل شيء مقدس يخصه. ولم تقو ماريئا أن تبقى جالسة تتحمل الاهانة من اسئلة ابن البروفيسور تيودور المغرور، فوقفت وعيناها تقدحان شرراً وقالت:
«لم أتزوج لأنني لم أقابل الشخص الذي يروق لي والذي يجعلني أفكر في إدماج بقية حياتي في حياته».

«هل هذا صحيح؟»
«نعم».

ودق ناقوس العشاء ينه الموجدون ويرسل دقائه الى كل غرف المنزل ويعددهم أنهم سيجدون الألفة حول المائدة التي تنعكس على صونها أنوار الشموع والكؤوس. ويجدون الصحبة الهينة والحديث العذب.

ووجدت ماريئا ما توقعته. فكانت المائدة من الخشب الداكن تتسع لجلوس ستة أشخاص. ولذلك بدا ثلاثتهم وأنهم تانهون فيها.

وقالت السيدة فيسك تقديم الطعام بمهارة أما الشراب فقد وزعه البروفيسور بنفسه. وبقي رايان معظم الوقت صامتاً لا يعبر وجهه عن شيء. وكان كل اهتمامه منصّباً على الطعام الذي يأكله.

ولكن لم يفته ملاحظة الاهتمام الذي كان والده يقدقه على صيفتها. فأخذ هارفورد يسأل ماريئا مرات اذا كان الطعام يروقها. وهل تطلب شيئاً آخر؟ وهل أعطتها السيدة فيسك كفايتها من الطعام أم زادت قليلاً أو أنقصت قليلاً؟

وكانت ماريئا جالسة على يمين البروفيسور تيودور، ولم ترفع عينيها مطلقاً لتتنظر الى ابنه الجالس تحياها. ولكن عندما قارب العشاء أن ينتهي اقترح

تيودور أن يشربوا نخباً، فملأ الكؤوس وعندئذ نظرت ماريئا الى رايان ثم قال هارفورد وهو يرفع كأسه عالياً ويقرع كأس ماريئا:
«الى صديقتي الصغيرة ماريئا».

ولكنه عندما قدم كأسه لابنه لم يفرح بقوة بل تردد. رايان ليريه كأنه يعاني من شيء، ولكنه تغلب على ما يلقفه وقدم كأسه وهو يقول:
«أنسة نويل».

ولكن ماريئا حاكت رايان في تردده، وكانت متعمدة في ذلك، فليربة كذلك كانت تعاني من صراع داخلي. ثم رفعت كأسها الى رايان بالرغم من أنها لم تكن عندها النية كي تلمس كأسه. ولكنه كانت تراوده أفكار أخرى فمال عبر المائدة وأمسك برسغها وقرب كأسها من كأسه ثم استمر في الامساك بيدها حتى تلامست الكأسان.

وكانت الحرب سجلاً بينها تفسد رسالة السلام والمحبة التي تميز كل الانتخاب.

ثم قال:

«الى صديقة والدي الصغيرة، الصغيرة جداً».

ثم ترك يدها بعد أن كسب الحرب الدائرة بينها.

ولكن يبدو أنه لم يكن راضياً عن ذلك فقال لوالده:

«الآنسة نويل تتكرأها صديقة لك...»

ولكن لماذا أراد ان يسخر من والده ويتحدا؟ ثم نظرت ماريئا الى البروفيسور تيودور فلاحظت ان غضبه الذي أثاره رايان بامساكه يدها قد زاد بكلامه.

«وفي الحقيقة عندما دعوتها بصديقتك احتجت لذلك وأصرّت أنها واحدة من أصغر موظفيك الذين يعملون في معملك».

ألقي رايان على أبيه نظرة ليري تأثير كلامه عليه. ولكن هارفورد أعذ جوابه بكل عناية. فوضع فنجان القهوة على طبقه في الوسط قاماً ثم تناول الملعقة وبدأ وكأنه يدرس معدنها بعناية ثم وضعها ثانية وبعد ذلك أخذ يتحسس لحيته.

ثم قال أخيراً:

«موظفة؟ لا اني أفضل كلمة مساعدة. صغيرة؟ بالعكس فهي الواسطة الهامة في سلسلة تعليم الأسس التي يركز عليها القسم بل أي قسم علمي. وهي مهمة كالنواة الصلبة».

ضحكت ماريتا وملاً وجهها الحجل وقالت:

«انك تخجلني يا بروفيسور تيودور».

وفي الوقت نفسه كانت تلاحظ اهتمام رايان بكلامها.

«لكن اذا تركت العمل»

«سوف نبحث عن شخص آخر كي يشغل محلك وفي كل حال أنا مقتنع بعد معرفتك تلك المعرفة البسيطة، بأن إمكانياتك الذهنية أكبر مما أتصور».

«انه كرم منك ولكن...»

فقال البروفيسور:

«كرم؟ اني لا اتكلم عن الكرم بل وصلت الى هذه النتيجة بعد الملاحظة والنتائج الموضوعية».

ثم سمعت رايان يتمتع بسخرية ويقول:

«اهنت مكانة والذي العلمية يا آنسة نيويل. وكما ترين ان العالم يفكر بطريقة موضوعية محايدة في كل المواضيع... فهو يبعد نفسه عن أي مشكلة تقابله ثم يفصل فيها كشيء قائم بذاته، حتى كل عواطفه وشعوره وجهه اذا كان سيء الحظ وترك لنفسه العنان كي يخضع لهذه العاطفة، فهو يبتعد ويحكم على الأشياء بهدوء وبدون تحيز وبطريقة علمية. وأنا كعالم أعرف الأشياء من التجارب».

«تجارب يا دكتور تيودور؟ انني مندهشة لعدم اتباعك الأسلوب العلمي كي تنمي عاطفة الحب لغيرك لا لنفسك فقط».

وكان وجهه الخالي من كل تعبير إلا السخرية الجامحة قد جعل ماريتا تشعر بالبرودة رغم دفء الشمس التي تسطع من النوافذ.

فضحك الأب وشعر الابن بالهزيمة ثم قال الأب:

«أحسنت وصفه يا ماريتا. لقد قام بفامرات كثيرة. ولكنه اعترف لي مرة أن الحب لم يمس قلبه أبداً... النوع الآخر من الحب لرجل في سنه أمر ملئم به. ولكن

الحب الداني العميق فلم يعرفه. ولذلك أحسن صنعاً انه لم يتزوج. فهو لا يعرف معنى الاخلاص».

ثم تلاقت نظراتهما في غضب وفي حرب لا هراة فيها. وكان من الواضح أن المرارة التي يشعر بها كلاهما لما عمق سحيق وأن كليهما قد جرح من الآخر فراح يخفي ذلك الجرح. وعرفت كذلك بغريزتها وبإحساسها الداخلي أن وصولها الى هذا المنزل قد عمق الخلاف. فشعرت بالخوف.

وأرجو ألا تشغل بالك بي يا دكتور تيمون، فامضي في عملك أو لميلتك وكأني
غير موجودة.
«عصلي يمكن تأجيله. أما تشيبي فاطن أنت أو أبي لا ترضيان بها أو توافقان
عليها».

استدارت ومارت فجاء الباب وسعته يقول:
«هل أين أنت ذاهبة».

«هل حجرتي، فلم أفرغ حشيتي بعد».
«أنتي ذلك قليلاً، وبغالي ليري المنزل! سوف أصحبك إلى أمكاته وتعرفي عليه».
كانت مرات سموتة الآن قوية بما جعلها تطعمه لبنها.
وغيرها بما عند الباب ثم وضع يده على ذراعها بخفة لئلا يراها والدته، ثم
تأخرت لئلا يراها والدته عليها البينة أما تلامس ذراعها بيد ابنة فقد حسب لها شعوراً
بالرجفة ولم تفلح إلا التراجع ولم يفلح تعجبه لأمرها.
ثم سلك إلى الشهور وهو يقول:
«وعصني أراك الطريق».

ثم بلغ أحد الأرباب المتفوشة وقال:
«هذا هو مكتب والدي».

وكما قال البروفيسور تيمون كان مكتبه جزءاً من شرفة المجلس، وبالقرب
من حائل الأوراق وروحة زخم المحلات وأكوام الكتب الموضوعة على منضدة
بجانب أفلام الرصاص ورسومات الطيور، بل الحجر ما زالت تحفظ بقلع من
وقار يمزجها وحدها وبما أنها كانت جزءاً من شرفة الاستقبال الكبيرة الفخمة ثم
تلف عرائنها كلها.

ثم قال رأيت.

«ليست لشيء البينة لأصنف لك بدقة كل قطعة من قطع الأثاث وأذكر لك
تاريخها».

ثم انطلق باب المكتب وفتح باباً ثانياً وقال:

«هذه الغرفة كانت معروفة بقرعة الاستقبال، وهنا يمكنك أن تتعري بالاعطاش بعينها

٢ - ماذا يريد منها؟

وصلت السيدة أرملة إلى الغرفة ومعهما مرشد من الشهور ساعد على تحريك
جدة الصمت التي سكت حشيتهم. قام المرشد وسار تيمون من مطبخه
وانحنى قليلاً إلى مارتا وقال:
«أرجو أن أغني لك بالانصراف يا عزيزتي».
وراج ينظر إلى المائدة ينظر ويحين كأنه سيجي بعد الشفايع حتى يظلم مرآ
ثم قال:

«مظلم بعض على تنزلي على شرف عاتقني فلا بد أن أرجع إلى حيا مراية الطيور»
ووضع يده على ذراعها وأبقاها لبرهة ثم ذهب.

وسعد مارتا زائد يقول حاصلاً:
«والذي ترك في العناية بالطلقة».

وركز على الكلبة الأخيرة مما جعل الدم يستفح إلى وجهها ثم أردف يقول:
«هناك أحفل بيما».

كانت مارتا متأكدة أن تسعة من عشرة من النساء يجرعن إليه فالحات
أذنين له. وقالت لنفسها سأكون أنا العشرة التي تشل عن هذه القاضية
وسأبقى ثابتة ولن أخضع لأي خطرة نحو ذلك الرجل سواء كانت معنوية أم مادية.
وعندما التفت منها قامت مارتا واقفة ووضعت اللقعد في مكانه لكنها
نظرت إليه الآن وعيناهما تلحجان شرواً.
ثم قالت له:

تالية. فوالدي أصغر علي شأنها كذا هي كفي لحفظ بالمعنى.

ثم رفعت مارينا عينيها إلى السك الذي أخذت غرضه تتواصل وتتلف حتى تصل إلى وسطه حيث تقبل ثريا الكريستال اليراقق ثم بطرف نظرها إلى اليسار واليمين ذات القيمة التاريخية العظيمة. وإلى حيث كانت تداني صور أصحاب المنزل القديم لكنها وجدت صورتين الأولى خاصة بالبروفيسور تيودور نفسه عندما كان في الثلاثينات من عمره، والأخرى لرايان تيودور ربما وسعت له منذ عشر سنوات.

وفلت عينيها لتتطال عيني الرجل في الصورة فوجدت أن عيني رايان حتى في تلك السنة جعلناها نغشى من نظرها.

ثم قالت

«أنتي لا أحد صورة»

فتوغل استفسارها وقال

«والتي لو كنت بعد موافقي بإحداث قلقة»

وكان يتكلم بيوعة وعدم اهتمام. وكانت مارينا تريد أن تعرف كيف توفيت والدته ومن تولت تربيته من التي أروعته كطفل!

ثم قال لها

«هل ظفرت بما فيه الكتابة إلى صور العائلة؟ وهل كنت تسعين من خمسين فليت أن يكون والذي الآن في البن التي يبدو فيها بالصورة»

فالتفت وجهها فجأة وقالت

«أنتي لا أعرف ماذا نومي إليه يا دكتور تيودور»

«هل تنظر من هناك»

ثم استمر في إيلاها غير قابل بتعويها. فهو المستقر في كل المواقف وهو المعتدي دائماً.

ثم صعدا السلم بتقدمها رايان. ولد لزمنا الصمت ولما وصلنا إلى أحد الأبواب أشار إليه رايان وقال:

«هذه هي غرفة أبي».

وكان من الظاهر أنه لم تكن لديه الشقة كفي ثريها حجرة واحدة من الداخل ولما وصلنا إلى الباب الثاني لال لها

«هذه هي حجرة السيدة فيلانة»

ثم أدار مفتاح الباب في الممر نفسه. ودخلنا حارثا للداخل وهو يتنصص ويقول

«السيدة فيلانة تنفخ بشفاه من حجري أثنا وجودي هنا لا لا يدي أي محاولة لتجعل الغرفة بألغة النظافة كما فعلتها في نسائي»

وكانت غرفته واسعة كبقية غرف المنزل، لكنها تخلصت من العرافة التي اكتسبها طوال أكثر من قرنين وقيلت إلى غرفة للهدوء، للجلوس والتفكير معاً. وما لا نجد فيه إلا شخصية صاحبها كانت انعكس عليها فهو غاضب، أن يدفع كل شيء من مكتبته بنحوصه سراد كانت مائدة مثل المكتب والمكتب فونه. والمفاتيح المهدبة البنية اللون، والسلم بر الكبر العصري، أو كانت سائر حياته

ورأته يطلع سترته ويرش على السرير ثم يترك ويطلق نفسه. وأما رانديا باهام وعبداء نصف مقلتين، وشغلة مفوتتان، وشعرت مارينا في الوقت نفسه أنها اخترق تحت نظراته، وأدركت وتبشها بسرع متى جاذبهته. ولم يرجع ذلك لوسمته فحسب، بل لادامته المارعة وكثنية العريشون ومخبرته وقوته القاتلة وشعرت بأنه يجذبها إليه بقوة ذهنه ويحل عليها إرادته المخارقة كفي بشدها إلى القرائش وأصبح كل ما عليه أن يذيقه ويجلبها إليه. ثم...

وكانت مارينا غاضبة من نفسها ومن انحرار وجهها الذي يتم عن أدائها فأدركت ظهورها إليه، ولكنه لم يكن جليلاً بالمغرب في نفسها بل هو يعرف تماماً ما تشعر به وسعته يمس من السرير ثلاثاً.

«لا»

فردت تقول:

«لا»

ثم ذهبت إلى السابعة وأخذت تنظر إلى مكتبته الواسعة

وسمته حسن ويقول:

«الجاري دلتني على أن النساء عادة لا يبدعن أية صعوبة أمامي. ولكن اتبعني
يخرجن إلى بعض الوقت أو الملاحظة»

«أما اختلاف بين ذلك الجنس الذي تعرفه من النساء»

«قال وهو مغفط العينين:

«ليس من النساء من تختلف عن ذلك. ففي هذه الأيام ماعليها إلا أن تسبح
بأساليبها حتى يأتين إليها كأنهظ ثم يظن ما تشي.»

«ثالث وهي تظن»

«وهل يحصلن على ما يظن»

«فرد يقول باختصار»

«أنا رجل.»

ثم مرت فترة قال بعدها:

«هل جديت ما قاله والذي عني أثناء العشاء»

«وأن الحب الحقيقي لم يمس قلبك؟ وأنت لم تشعر بدفع الحب النقي وبالعاطفة
الحقيقية؟ نعم جديت قصرتك منذ أن ناهلك. هل على ذلك. في معنى أن أقرأ

شخصية الغير بسرعة دقيقة»

«فحكك عالياً وفتح عينيه ليهزأ بها ثم قال:

«مساعدة العمل الصغيرة لم تكن إلى محلة تسمية في شدة عين وعلى الحجاب
شخصية والسر» «هل كشفت عن عقد العفد» «هل فرت نوايا» «وربطت

الحيد» «هل تعرفين كل أملاء»

«تأملت لصغريته ثم قصدت الباب وهي تقول:

«إذا كنت تعرفين من تعريفي بأرجاء المنزل»

«بعض من السرير وأصلح ربطه عنده وقال:

«مازال هناك مكان آخر. أنه في الدور الأعلى.»

«وعندما وصلا إلى الطابق الأعلى قال:

«هذا هو مكثي عندما أكون هنا. حيث أعمل وأفكر في الماضي. وحيث أذكر في
العصر الجليدي بجانب الصخور والمعادن وبقايا الحيوانات والنباتات»

«وكانت المعدات هي التي تحت نظر ماري» «أولاً لأنها ذكرتني قليلاً بالمثل
الذي تصل فيه. فكانت مليئة بالنجار والآلات وقطع الأحجار ثم انتهت وهو

يراقب وجهها فقال لها

«أراك منقشة»

«أما منقشة فعلاً، فليدك كل هذه الآلات الرصية. وكنت أعلم أن الجيولوجيين
يخرجون لاستخراج كنوزهم من الأرض»

«فصحت هذه التمرة وقال

«إذا كنت تتوهمين أن جسمي هذا آلات أخرى مثل الكوريك والجاروف فأتيت
تصنع في خطأ عاتق. فتخططين مع الجيولوجيا والخفريات فعلاً. الخفريات

يتعاملون في نطاق آلاف السنين أما الجيولوجيون فتعاملون مع آلاف الملايين
من السنين»

ثم أثار بيده وقال:

«هذا هو محور جيولوجي يكثر ويضيء الأشياء التي ترى من خلال أتبوة. ولن
أفسي في تنعيم لأحد آلة معقدة حتى أن الشخص الذي لن يفهم بسهولة.

وخصوصاً مساعدة الممثل التلح للرويسور نيويورك»

«واستم بصغرية وقال:

«إن علم البيرولوجيا هو دراسة الصخور»

ثم قصد إلى آلة أخرى وقال:

«هذا جهاز مصور يشبه سائده. لكنه مؤوة بكثيرا فيمكنني أن أصور به دقائق
المعادن والصخور»

«ردت ماري» «تقول وعينها ترققان

«أين وجدت بقايا الصخور وهذه النباتات الزائفة»

«جميعها من كل أنحاء العالم. لحياتي مثل الزحف»

«فأثت بدوشت»

«أثت فأت لا تفرس»

«لا أنا لست مدرسا أو محاضرا بل أترك القدر بين الجامعي لوالدي المرموق

وأستخدم المعرفة التي اكتسبتها ذاتاً في الأصل عالم في طبعة الأرض.
ولكن أياك قال أنت حيواني.

«في الأصل أنا حيواني ولكني كنت مزبداً من الدرجات العلوية في تلك
المادة»

«وإذا كانت ناهية كوالدك»

انحنى لها انحانة جميلة شاكراً.

ثم سأله وهي تغامر وتتوقع أن يجرعها.

«ولكن أين تعمل»

«لا تبسم وقال لها»

«العالم بأسره هو مكان عملي»

«وما تطبت قال لها»

«ربما أحملك تفهيم يروشوح إذا قلت لك أنني أعمل في شركة أمريكية للنظف
وكعالم لطبيعة الأرض أزور أماكن مختلفة من العالم»

«أذن لماذا تبقى هناك»

«رجعت لنوي من ألاسكا في إجازة مدتها شهران، وفي الوقت نفسه أكتب
تقرير عن محرواتي إلى رؤسائي كي تبدأ الشركة في إقامة معدات لأبار النفط»

«إنها مسؤولية كبيرة»

«نعم ولكني أأكل أكلاتاً كبيرة جداً»

«أذن عليك أن تذهب إلى حيث يملك الشركة فيبيلك لا بعد نظرياً»

«كلام»

ثم راحت ماريانا تتخيل وهو يرتدي خذوة راقية على رأسه، ويتنقل الحذاء
العالى ثم يختار ملابس قديمة وربما كانت ملطخة بالوحل. وكان هذا الحامل لب

ما تنجرها

ثم قالت له

«هل تتشاكك هذه الحياة التي تنطلق فيها من بلد إلى آخر»

«لهز كتفيه وقال:

«هناك تضائلي؟ ليست لي روابط أسرية فلا زوجة ولا أولاد وليس لي
مسؤوليات سوى عملي»

ثم انضم لتأكلت ماريانا انه سيقول شيئاً يلدنها.

«أنا خال من الضائبات، خال من مسؤولية النساء، ولدي المال بل الكثير منه
وأقوم بعمل أحبه، وأجوب العالم، فهاذا أطلب من الحياة أكثر من ذلك»

«مذت ماريانا يدها لتلمس أحد المجاهر وقالت له:

«أليست لك صديقة»

«من يده ذات الأسابيع الطويلة، وقبض على راسها وأبعد يدها عن الآلة التي
كانت تلمسها فتبعت يدها منه وقالت خائفة

«أنا مضرة في العمل على الآلات»

«لكنني أشك أنك استغنيت هذا الصنف الفريد من الآلات، وبدأت على سؤالك
إذا كان كل رجل يشك نفسه صديقة فهد، مسألة خاصة باحتياجات الجسم نعم

إن لي صديقة»

«وسعرت لسم ما أن حلقها جلتاً قليلاً ثم قالت له:

«هل ستزوجها ذات يوم عندما تستقر»

«ليس لي شيء للزواج أو استقر في مكان، لن أجعل المرأة تسافر على مستقبل،
ولن تقبل أي امرأة أن تحصل الحياة التي أعيشها»

«ليست ماريانا ذهبت تقول

«هل تقول إنها رقيقات الجسم»

«أنتي لا أحد لي صعوبة في إرضاء هذه الرغبات، فالنساء كثيرات وقد يصعب
شحنات في بعض الأماكن ولكن هناك الأجهزة التي يمكن للمرء أن يستغل

وقت أربها»

«وفيما شعرت بالاستمواز من حديثها صعدت فحالت بمرارة

«والله بعد ملاكاً إذا قررون بذلك»

«قال حامداً

«فلم يسي أؤكد لمساعدة معلمي أي الصغيرة أن أي في هذه الناحية بعد ملاكاً

لعلنا وهو قد يقول أي رغبة شعر بها لأنه لا يظهر أية علامة خارجية تدل على هذا الانتصاب.

وأنتك عن الكلام لفترة ثم سأله:

يقول لي ماذا تفعل مساعدة للعمل في سبيل الحصول على زفافها
بأحد الأدوات التي يستخدمها الطلبة في إجراء التجارب، ثم أسجل النتائج في
شكل رسم بياني. ثم أشرف على الحوت مثل بحوث الضغط في المعادن.
نعم خطوط المعادن الذي يربط خطوط الجسر وما شابه ذلك هذا مجال والذي
وليس مجال.

ثم أتفك على المكتب وشبك يديه على صدره يتفحصها ولم يرحبها فراح ينظر
إلى جسمها وإلى وجهها الخاضع. ثم لمس رأسها فابتعدت عنه وهي تسأل هل
يلبسها متعباً أو حزيناً قال
مالك تثيريني. فذلك فكل يستحق الدراسة لديه القدرة على التطور والأوتار
التياء. كان يبتكك أن تياثري بالقيام بتجاربك الخاصة بدلاً من مجرد إعداد
المعدات للآخرين. فهاذا حدث لك؟

نظرت إلى الكتب الموضوعة فوق الرفوف التي تحيط بالرفقة. وقالت:
«عندما مات والذي أجبرت على ترك الدراسة وأنتى عندما يأتى الحرف إلى
التحليل بالدراسات وأتالى مؤلفات أهل على أن تكون دراسات غير نظامية»
«ولماذا لا تلحقين بدراسات نظامية حتى تحصل على نتائج أسرع»
فهيبت رأسها وقالت:

«إن والشيء يعمل ولكن مريضاً لا يتكلم معاً فلا يتكسى النخل عن والشمس
وقد أحتاج إلى وقت طويل كي أخرج فعلى أن أحصل وأنتظر»
«سأله لك سؤالاً كما سألتني من قبل. هل لك حديث؟»

«أرأيت أن تتخرج على تسلك في صميم حياتها الخاصة ولكنها تذكرت تدعو
في حياتها بمثلها. وتذكرت جيسي. فهو عالم مثل البروفيسور. ولكن
أقل منه درجات وهو ماهر جداً حتى أن البروفيسور يقدره ويحبه وكان يسب
مهماً جداً بعمله فقط»

كانا يخرجا نداء أحياناً وكان حديثه معها ينصب على العمل وحده. وكان
يعاقبها من وقت لآخر فكنها كانت تشعر أن عمله متعلق بالعمل. فأجابت دون
تردد:

«اسمع جيسي هيستون وهو في السابعة والعشرين من عمره. يقول القادة
نحلي. ويكرس نفسه لعمله دائماً. وهو محاضر في قسم والمركب»

«هل أنت جادة في حبه وهل تتوهم الزواج به؟»

«لست ما لم تتأ أن تقول الحقيقة لذلك الرجل. فأكتفت بقوله»

«ربما تزوجنا من بديري»

«لكنك أكملت لي على العشاء أنك لم تتألي بعد الرجل الذي تريد أن تدعي»

«حياتك بحياته إلى الأبد»

«وخل إليها إلى عليها ثم قالت»

«أنتي جيسي هو أقرب رجل إلى الملائكة التي وهبتها لحياتي»

«فراح يصرخ ويصرخ»

«جيسي يحفظك لعل يدرى يحظه السعيدا وتسى ستظلمين منه أن
يتزوجك»

«وجدت قبضت يدها على قطعة من عينات الصخور. وكانت يدها تتحرك بدون

إرادتها. ولما أن تنفاهم يطر بفتها الخاصة مع ذلك الرجل الساهر الذي لا تحصل

ولكن عاذا كانت هذه اليد سوف تفعل بهذه القطعة من الصخر إذا لمزجها في

زمنها من مكانها فإن ماريتا لم تدرك إلا يد قوية أخرى وقد قبضت على

يدنها للبرق الثالثة في تلك الليلة. ولكن في تلك المرة لم تدرك أية راحة

فقال لها أماً

«أشغلتها من يده»

«فأضاعته اليد الفاضحة على الصخرة. ولكنه ظل يمشي على يدها حتى بعد أن

أثقت بقطعة الصخر»

«وقعت ماريتا باعتذار عندما ترك يدها. وشعرت بدورة الدماء تنظم في

أرجلها. وراحت تدرك يدها المصاب وتقول وهي تهازل حبيها

ان تغلب علي مهانتها وانجازها وفي الوقت نفسه تبقي مخربتها:

ولا بد ان هناك مزيماً من الأشياء تريد معرفتها»

ننظر الى شخصها المملكتين بلقي وال صفرها تحت البقرة الدائبل. وال
ردفها تحت التبروة الطويلة ثم قال:

«نعم ولكن أشاء أنك سوف تحبس عليها وعلى سبيل المثال هل مظهر جسمك
يتناسب مع البراة التي تظهر على وجهك»

فالتت شخصي خجلها

«بالنسبة الى رجل غيلته اليوم للمرة الأولى أرى ان هذه الأسئلة تعد شخصية
جدا»

وتصمت كلف. يلقها رايان عندما يكثف لها ذلك الجانب الخلف الوعر من
حياته كانت لهاته القوية تنص بالحياة ويهمل في الذكاء الذي يتبع من عيشه
اللاحتين صوباً بآخر.

ثم أخبرها انه يجب التحول معيماً بحريته. أما النساء اللواتي يتلصص
وتعترضن حياته فيسقطن ولذا تم ينساقن الى الأبد.

ولكن لماذا يخطئ هذا الرجل؟

وأظهر رايان اليها ولم يشأ أن يقطع حبل أنكارها، فلما قصدت النافذة ترك
الصغيرة جالاً ثم تبعها

فهيست تقول.

«هذا النظر بأمله يعطى الشوب. انه يجعلك ترى المناظر عن بعد كبير»

«ولذا السبب سمي هذا المنزل حتى الآن»

ثم أشار اليها بعد، بينما وضع يده الأخرى على كتفها، فاعتدت ماريينا
تجاهد كي تركز على المناظر الخارجية المحيطة بها ولعل

«الآن يبدو من خلال الحفول والمداول»

نظرت ماريينا مبهورة الى المناظر الجميلة ذات الألوان المبهدة. ثم هبست
تقول

«ولا شك أنك اخترت هذه الغرفة لمكتبك، فهي أفضل غرفة في البيت كله»

وأنا سعيد لأنك تتقنين مزاياها وتتخاضين عن القوي السائدة بها»
فالتفتت قائلة:

«فروسي؟ لم ألاحظ ذلك إلا بعد أن تنتهي اليها»

فصيحك ولعل

«أناك امرأة رائعة الوجود معظم بنات جنسك يحاولن إصلاح هذه القوي»

«وقل لهنسها صديقك فروسي»

ثم انظرت به وهي مشيرة قليل.

«صديقي حولو حية أشاء»

«وكان ذلك رؤاً مقنعاً لسراي ماريينا

«وهي مديونة في مديونة شابة في ساقولك»

«ولذلك ماريينا فإذا اخترت النظر المتد أمامها العضة فجأة لا بد أن

السبب للحرب الشرس واختارها وروا الآن

وفي فترة الاحتفال أحضرت الميدة فيسك اليهم شراب الشوكولاتة
الساخن. وكان رايان يجلس على مقعد ويثير وقد مذ ساقيه بتراج بينا تقاسم
واحد الآخر بكلمة مع ماريينا.

ولم يحل الجوديسور نيويور ملازمه التي كان يرتديها قبل مغادرتهم
المجامعة قد مرع عند وصولهم الى عملاً في الحديقة. والى المنظر الخامس به. والى
مرايته للظهور

ومن الغريب ان الألب والآن يحتفلان الاحتفال الكبير فأحدهما يجب التوجه
ويلجأ ال الأماني الحقة كي يرتب الطيور أما الآخر فهو يطلب هذه الحرية
لنفسه الحرية التي تحسبها على كل شيء آخر وهو كذلك لا يتحمل القيود التي
فليها العواطف المتضاربة وعواطف النساء المختلفة وخصوصاً حب المرأة.

ولما جلست ماريينا بجانب هارفرود نيويور. وكانت أولى مرة تجلس فيها
قريبة منه منذ عيشها معه. لاحظت بعض أشياء لم تلاحظها من قبل. فبدأت
تطرح أنظر كني قبيصة قد بل قتيلاً وأصعبنا في حاجة الى الغسيل وكان
حذو بنفحة اللسان. أما ملازمه فكان يرجع طرازها الى أعقاب مفت. ولذلك

شعرت أنه نزل من عليته التي كان محتليها في نظرها تلك العقيدة التي رجع
إليها مركزه ومنزلته العلية وقبته الخاد.

وفي الجانب الآخر كان ابنه يرتدي آخر صيغة من افلاسي والفريسيه من قريه
سها كان يشعرها أنه بعيد أشد وهو لا يحيطها شعور نحوه بأن تعاطف كما شعر
نحو والده. بل هو شعور منهم من الفلق وعدم الاستقرار.

ثم قدم البروفسور شيودور إلى حاريتا مزهداً من الشوكولاته الساخنة
وسألها إذا كانت تشعر بالراحة. وإذا كانت تحتاج إلى شيء. واستمر لها لأنه جعلها
فلم يتسكن من مقاومة عدم ذهابه إلى حبة الكاكاو في غابات مثلثاته؟

وقال لها وهو منطلي في كلامه. وكأنه شرب شيئاً غير الشوكولاته. أنه عمن
لفظها دعوتك لتتقي منه اجازتها. وشكرها لأن صحبتها تعد أكبر هدية له.

وقال لها إن وجودها معه. يجعله يشعر بأنه أصغر من سنه بكثير. وأنه يشعر
أنه تسرع بالعودة إلى بيتها وكان يتكلم بإفلاسي جعلها تشعر بالقلق. وأنت على
نفسها ألا تفعله وأن تهتم اهتماماً عميقاً بأمر حياة الطيور الذي يوليه أهمية
خاصة.

ثم قال.

وأظهر أن هناك قارفاً كبيراً في السن بيننا وتغلبنا هو سحبه من السنين. وأعتبر
أنني لمرأت ودعوتك بصديقتي.

ثم راح يحاطبها كالأطفال وقال:

«وهل تعلمين في هذه التسمية؟ وهل أدعوك بصديقتي؟»

حرك هذا التواضع في نفسها شعوراً قوياً جعلها ترد أن تهيش بالهكا. فهدأت
رأسها مواظبة كما جعله يتسم بارتياح. وبحركة لا شعورية نظرت حاريتا إلى
ابن البروفسور الجالس ماداً ساقيه في مقعده الرثير. مغمض العينين ملقياً برأسه
إلى الوراء. ويبدو أنه كان يستمع إلى حديثها. إذ دلت على ذلك عضلات وجهه
المثيرة وموجده شفته ثم قالت:

«لماذا تسب السرات. بين أي شخصين. حاجرة بين صداقتها»

وبدت في عيني البروفسور نظرة أكثر من نظرة ارتياح. بل نظرة استئجاب. ثم

ارتدت تقول

«وإذا هذا السن الناس من الماء بعضهم البعض في عالم الفكر والعقل»
وتحسبوا إذا كانوا يتناسلون الألفاظ بقية ما.

وبحان رأيت الآن يتنفس ويظهر إليها اهتمام وتذكير. ولاحظت أن عينيها
المتفتحة تبحث فيها عن شيء ما ثم حول نظره إلى والد. ولكن الأخير كان
مشغولاً بالنظر إلى حاريتا. وكانت بهد تتحرك بتروك كفي يضعها على يدها وهو
يقول لها

«لما سعيد لوجودك معنا يا حاريتا»

وسبغت تامة تلك الكلمات التي ناحت بها والفتها والتي ما زالت تضي في
أفئديها عندما قالت: «لا بد أنه عهد بك لشخص» فهل كانت والدتها على حق؟
وباركت حاريتا البروفسور طعام الاطفال. وكان يحوون رايان غروب من
أفول الطعام وهذه

ثم سمعت البروفسور يقول

«سأصبحك هذا الصباح إلى المخبة. وهناك جدول يجري في قراصها وهو واحد من
دوهم أحد أبهار نور فواكه. وعندما ذهب إلى المخبة أنصر بأنني مضطرب لروية
الطيور التي تزور الأنهار والمستنقعات».

ثم استمر في تناول الطعام وقال:

«لما تعرفين أن شوقي أفئديا. وتحسبوا هذا الجزء منها. تعد أفضل مكان في
العالم لرؤية الطيور»

إن حاريتا تفهم هذه الأمور ولكنها هزت رأسها موافقة وقالت له أنها تفهم
لأن لماذا بعض مضطربا منزله هذا.

فأص على كلامها وقال

«هناك سبب آخر وهو أن المنزل تكسفه الذاكرة الكثيرة».

وبدا في سريته الخنين إلى الماضي. وراح يفكر في تلك الذكريات الغالية.
ولكنه تنفصها عنه ورجع إلى الحاضر ثم قال:

«أعزيس هراية مراقبة الطيور وحدي. فأشعر بالوحدة وأنتي لا يشاركتني هذه

المروية، وملاقي بالمجامعة يجهلون كل شيء عنها،
ثم قال:

«ولذلك أفتر اهتمامك بما ماريتا، ويمكنني أن أتولى تدريب عقلك الشاب
وعليه وأستطيع مراقبة الطيور فطرة فطرة حتى تتعادل هذا الحب مع الزمن،
مع حيي له ولا تعلني بفرد سروري ليلناك معي أثناء هذه الأجازة»
لمسحت ماريتا بمسؤولية العمل الذي آلت على نفسها أن تقوم به، ولم تقو
أن تفسر البروفسور أنها ليست لها ذاكرة قوية تسجل الأشياء فور رؤيتها فكانت
لا تذكر الأفراد إلا الشئ مهم لعمدة الثانية، لها بالك بالمخبرات البرية الموجودة
في عالم الطيور!

ولما وصلت إلى المخيا وجدته عثفياً بين الألفسان ولحن أوراق الأشجار ويتر
من جانبته جدول ماء، وسمعت حوله أصوات الطيور تغني سعيدة في ساعات
الصباح الباكر الذي.

وكان المخيا يكتاد لا يسمح لتخصيص مبيتاً من مراتب الأوبريم والتماس
السيك الذي صنع منه غطاء الباب ورفع كلها داخل تخصص ليه أو خرج منه
وفي الباب رأته ماريتا ثقب الباب.

ثم قال لها هارفرود
«لاني اضطر إلى البقاء أحياناً بعد ساعات»
«وماذا تفعل لتناول الوجبات»

هو كنفه وقال

«عندما أتذكر أحضر معي بعض التيطار ووجاعة من الماء، وناعراً ما أسبح لأحد
أو يأتي إلى هنا ليري قوامي بالمراقبة»

ثم ابتسم وقال ولدت بولت عيشاء

«إن لي الآن رفيقاً يزيني في وحدتي، ولن تتكلم إلا هساً»

للكنها الخوف، فهل ظن البروفسور أنها ستبقى نعد أثناء هذه الساعات
الطويلة وينتوي كلاماً وما زاد من خوفها أنها وجدت أنه زرع المخيا فبعد ما
فأرأت مقعدين صغيرين يتكنا عتيها، ورأت وسادة على أحدهما، فتمسحت أن
يكون هذا المقعد لها.

ولكن يظهر أن بقاها في المخيا هذه المرة لن يطول، فقد قال لها:

«ول شئ التين أو ثلاثة من الطيور تحت المرائنة وهناك واحد أصغر به اهتماماً
خاصاً، فصفارته التي تخرج من البيض تبقى مدة طويلة في العيش على شجر
عائده»

ثم اني أراكم العصفور المسن متعلق الأشجار الذي جاء متبرعلاً في الأرض
يشكل عجب، فهل سمعت عن ذلك الطير
هزت ماريتا رأسها بالنفي فأكمل بقول:

«من الصعب رؤيته، فهو يأتي متخفياً بلونه البني الذي يشبه لشر الجذوع التي
يشكلها أما صدره فلونه أبيض، وهو الطير الوحيد الذي يعيش في اليابسة
ويتنفس من طرف»

واتمنى الصباح وأخذ البروفسور خلاله يكتب ملاحظات مفصلة ثم رفع
البنظر من حده وأعطاه ماريتا لمراقبة تحركات الطيور وقال لها
«إن أرتك بدكم أسماء الطيور اليوم، فلهذا الوقت الكافي للتصور في يوم آخر»
ثم وضع يده على كتفها وقال

«في كل حل سألت موجودة هنا معي، طالما تكنت والذئب من الاستغناء عنك»
ثم ظهر وأبان على مائدة القداء، إذ كان مشغولاً، حسب قول والده في
كسنة التطوير الخاص برحطه الأخيرة إلى الخارج، ثم قالت ماريتا
«إن له صديقة ميرفوجية مثله كلها أخيرني»

«متصدين دورين فووستر» نعم أنها تحبه وتود أن تزوجه، لكن ما فائدة
زواجه وهو يمت بشد فطنه

ثم قالت وهي تعجب كيف تلتفت إلى هذا الموضوع الذي لا يخصها
«ولاً أخيه امرأة حاك كبراً هل يكفي ذلك كي تعرفه وتحميه أقل أنانية»
صحك والده وقال

«لكن فكرة غريبة عن تأثير النساء على الرجال يا عزيزتي، وهذا ما يخل على
مداخلك»

ثم أكمل الأب بقول

«لا انه ليس في حاجة الى حب امرأة. فقد تروى بلون أم»

ثم كفى عن الكلام وتنهى ورجع يقول:

«قد أمضيت كل سنوات حياتي الاثني والثلاثين بدون ان يعرف رقة المرأة ورحمتها والتي لا أرى مانعاً في ان يكمل حياته على هذا المنوال. فهو ليس بمتقدم أبداً. أعرف ولدي جيداً»

وبعد بضعه قتل هارلورث

سوف أخرج الآن لأتلقى مدعواي ايجاج بضوء زلزال لي من هواة مراقبة الطيور. وسوف أصحبك ذات يوم الى مثل هذه الاجتماعات».

كانت يوم -

وكان الجو قد تغير فظهرت السحب ولكن الشمس ظلت تشرق من حين لآخر. فأخذت ماريانا تتجول في الحديقة. ومزيت على غصن البروفيسور. فنظرت اليه باعتراف وكأنه بداخله.

وشعرت بهدوء وسلام الى جانب المدير. كانت الطيور تحط على الصنوبر وسط الماء أو تغشى على أغصان الأشجار. فهل يأتي الوقت وتصبح هي خبيرة البروفيسور في معرفة أنواع هذه المخلوقات الغريبة؟

ولما رجعت من جولتها رأته السيدة فيسك آتية من المنزل في يدها صينية. وهي تقول:

«أتيت بالشاي لك يا آنسة ثيويل. أما الدكتور نيبودور فقد ذهب ليأتي بمقاهيه والمقهى. قال انه واحد من عائلته وأنت تتجولين. فأقترح أن أتى بالشاي اليك».

أذن فطوال الوقت حين كانت نظري أنها تحررت من وجوده. كانت في الواقع تحت مراقبته

فأبتدأت ماريانا تقول:

«هذا شعور لطيف منه»

ولكن سيدة فيسك أكدت لها انه شيء بسيط ثم قالت:

«حسن الشاكر أن أفكر من انقاع الدكتور نيبودور ان يغادر مكتبه. وهكذا والده».

فلا أفكر من جعله يعود الى المنزل».

ثم ظهر الابن حاملاً متقدة ومقاعده من النوع الذي يتقوى وقيل وهو يفرق المقاعد لها.

«لماذا كنت تتساملين لماذا أقروى نفسي عليك أترى اني لم أبدأ أن أترك صديقة والذي تتناول الشاي وحدها».

فروت عليه بعدة:

«لا داعي أن تكلف نفسك القيام بالترحيب بي والعيش»

فأبسم وقال:

«مصدماً رجعت الى هنا استريح. وأكتب التقرير عن سبيل لم أكن أتوقع أن يأتي والذي يصحبه لثاة جميلة مثلك. وكان قد أنقذني انه سوف يأتي بصديقة له. وأنا أتي أعرف ذلك الطراز من الناس الذي يصاحبه لم أفكر من إلقاء «هنتي» عندما ظهرت على عتبة باب غرفة الطعام».

ونذكرت ماريانا تعبير وجهه عندما وقع نظره عليها لأول مرة حيث ظهر في عينيه الخوف بجانب البغضة.

وطلب منها أن تصب لها الشاي ووجدت مع الشاي لظائر الفاكهة وجرين المشمش المصنوع في المنزل بجانب يسكوت الشوكولاتة. قالت ماريانا كي تنهي العست الذي ساد جلستها وكفي تغذي فطرها.

«أظن أنك رجعت لتوك من رحلة في الجارج»

لهزها رأسه وكأن الأمر لا يعنيه وقال:

«اتما رحلة من رحلاتي الكثيرة في أنحاء العالم».

«قال لي والدك أنك تستمتع بها. فهل هي جزء من تلك الحرية التي تعيها»
ثم لاحظ مغالطتها في الانقسام فردد عليها سرود قللاً

«هل تسخرين مني»

«لم أجبه وظلت صامتة ثم أكملت كلامه بقول

«أقول لي ما هي الحرية التي يتمتع بها رجل رطب شمس وزوجة وأولاد»
فهضمت تقول.

ياهم أخيراً. من قبل. رجلاً ثانياً وفاسياً مثلك وعلى كل حال فإن ما يطلبه معظم
الرجل من الحياة زوجية وأسرة.

«ربما اختلفت عن معظم الناس. وربما أردت أن أمتنع بحريتي وحيث في أي وقت
والى أي مكان تشاء. لكن فكرة الخطي عن حريتي لأفقد لنفسي زوجة تحب
طبعي بدافعها وتبذلني بطرق تعسفة هي فكرة مكررة قديمة.

هل كان يعني ما يقول؟ هل كان صادراً في كلامه أم أراد أن يتبرها؟
ثم أخرج حصاة من جيبه وراح يلعبها بإبهامه وتفنن. فتسكت حاريتا
من فراده تعبيرات وجهه. وكأنه ينظر في صفحة كتبت بلغة غريبة.

وبعدت بالسترار من كلامه لكنها سألت نفسها بأي حق تكسب له المبررات
لهم مجرد أن مضيقها وبالتالي لايجها في شيء.

ثم نظر إليها وأعاد نظره إلى الصفحة في يده وسعها تقول
بألم من رأيك أن المرأة لا تفقد شيئاً بالزواج بل تكسب كل شيء. «مه»

«نعم هذا هو رأيي. وعلى سبيل المثال لن تخسري حريتك بالزواج بل تحصلين
عليها. فمن تطعني إلى العمل ثانية. ويحكك أن تبقي موهلاتك محدودة كما هي
الآن. وتدعي عتلك يعلوه العسا فتتخطون بقواك العقلية. كمعظم النساء.
فلاطمعته بقولها.

«ذلك إذا تزوجت. ولكني ذكرت لك من قبل أنني لم أجده بعد الرجل الذي
يجعلني راحة في الزواج. وإذا كان الرجل الذي قل أن أتزوجه فهدراً فسأخرج
إلى العمل. أما إذا كان غلباً فسألتحق بقصص التعليم وأتمثل الامتحانات
لأحصل على المؤهلات التي تحبب عنها عندما مات والدي.»

«أذكرني لي سبب حبك إلى هذا»
«فكرت إليه عهدة وقالت.

«لأن والدك دعاني لماذا لطلب حاجيتك ألا تصدني.»
«أصدق ما تقولين ولكن لماذا دعاك أبي؟»

فكرت لبرهة وقالت.

«بصراحة لا أعرف لذلك سبباً. كان يأتي إلى العمل مرزات كثيرة عندما أكون

هناك ويكلمني ويقتربني مع أنني مجرد مساعدة».
ثم ترددت وقالت.

في يوم كنت أراقب أحد الطيور من نافذة المصبل وتساوت عن اسمه. وكان
والدك هناك فأجاني. وبعد ذلك لاحظت اهتمامه الكبير بي فربما وجد في
إمكانيتي تعلمي أن أكون زميلة له في مراقبة الطيور.

رفع حاجبه وقال وكأنه يحدث نفسه.
«لا بد أن هناك سبباً»

أرادت أن تفعل شيئاً حتى تهدئ من أعصابها المتوترة. فجمعت ألبسات
النساء ووضعها على الصينية. وودعت أبي بغير رأيان الخديفة ويذهب فيها
الرجل مضيقها ويجعلها تلتذ.

وأرادت حارساً أن تكسر حلة السكون الذي ساد حلتها فسأله قائلاً.
«أين ذهب في رحلاتك إلى الخارج؟»

«لست رأيان وقال
«إلى كل أنحاء العالم أذهب إلى الأخرى وإلى الصحاري. وأحضر المستلزمات
وأستأجر المصور أضعف حراسك التراب والرمال. وأورد طائرات أبار التبريد
أثناء العواصف وتلقي مياه البحر الحارة.

فكرت حاريتا في المخاطر التي تعترض لها وتقلب عليها. وتعبت لتعده
جوان شخصته. وبناء جسده المتين الذي يعكس نوع حياته. فهل يمكن لأبي
أمر أن لا يحميه يحتاج إليها ولا يمكنه الاستغناء عنها والتسور بأنه ليس متكافلاً
بنيتها حد الدنيا.

الغراب على قمة السهل. لا وكان هذا الحائط يملكها كثيراً ثم قام واعتذر لها
لتركها وحدها وشكرها على وجودها معه. وبينما كان يدخل إلى المشوول. توارت
الشمس خلف سحابة لهذا العالم في نظرها تلك اللحظة مظلماً.

طريقة استعمال المنظار قد تبدو معقدة في البداية ولكن عندما تجيدين تركيز
سرعة على الهدف، لن تجدي صعوبة بعد ذلك.

ثم نظرا الى الساحة الموضوعة فوق رف الدلاء ونال
يجب أن أغتسل وأبدل ملابسى للعشاء. وقد أسرعت اليك أولا لأجلك.
ثم نظرا الى حديثه وهو سعيد كالغبي الصغير وقال
هل أنت سعيدة بما؟

«نهارا يا بروفيسور تيودور. وأنا فرحة بما لأنها جاءت كتابا إلى
فوج لفرحها المظاهر، ثم فتح الباب ودخل رايان. ولكن مارينا لم تكن
لها عندما سمعت البروفيسور يقول:

«يجب أن تادبى هارلورده يا مارينا نحن صديقات أليس كذلك؟
وهو البروفيسور رأسه مغميا ولده. وشم بأنه سوف ينضم اليها بعد قليل. ثم
أطلق الباب وراءه - فساد صوت خرير وراحت مارينا تنضم الى المنظار
وتنفس بركة ولا يرى ماذا يفعل به. وأخيرا رفعت رأسها فرائ رايان. وقد
ارتدى ملابس عادية هذا المساء، بعيدة عن الترميمات.

ولمحت مارينا من زفات عليها عند رؤيته. ونشرت بأن كل شخص في
جسدها يرتجف ويهتز عندما تقابلت عينا الرمايشان بعينها. ثم قال لها
«نحن أمة مستخدمين الأشياء المبردة الآن»
وبت تقول:

«نعم مستخدم الأشياء مبردة ولا بد أنك سمعت حديثي واليك معي وأنا هنا
أه لا يوجد شيء»

ثم هو العفة والترب منها فشرحت بأن تلتسها أصبح من بعا وسطحيا ثم قال
في

«ربما كذلك أيا لا تعرف بعض الحيل»

«أنا لا أفهم ما تعني بذلك»

«هناك وهو يشع الى المنظار

«أه بخضك ولا يخص أمي»

٣ - الساخر يفاجئها

رجع البروفيسور تيودور الى المنزل وقت العشاء وكانه مارينا قد ياد
ملابسها ووقفت في تالفة خوفة الاستفصال حائرة لا تدري ماذا تفعل ثم ديع
الاب فشرحت أن قلبها يهتز فجأة فلما سها أنه رايان. ولكنها رأته والى
وكان يسلك رزمة في يده فقصص التالفة حيث نصف مارينا وسدور
يظهر بكلمة. قدم اليها تلك الرزمة فأتلا بانفسه
«أفنتحيتها»

فتحت الصندوق ثم نهنت بشدة وقالت له:

«منظار مكسرا ولكن قاراه»

«إن كل مراقب للطيور لا يمكنه تارسة هراجه بهرا دون منظار يا مارينا
ثم بدأت تقول:

«ولكني لست»

ولكن ماذا تقول له؟ هل تقول: أنا لست حاوية مراقبة طيور حتى أنت
هذا المنظار؟

«أكتشف بقولها»

«أه رائع منك ولكني في الحقيقة»

«فقال لها بعزم»

«ولا بد أن تبليه إذا كنا سراقب الطيور معا يمكننا أن نتعاسم الخيا ولكن
يمكننا الاشتراك في منظار واحد. يجب أن نقرأى التعليقات أولا ثم أرشدنا

«وهل ظننت أنني طلبت من والدك شراء؟»

فقال حارثة

«لا تس، في الدنيا أصبح مستقياً وعادلاً، فالمرأة طرق كي تحصل على ما تريد من الرجل بدون أن تطلب».

«ولكنك تخطي» في ذلك»

وكان هذا الرجل يتفحصه الذوق ولا عجب أن يختلف مع والده، فمن يمكنه أن يعيش في وفاق مع رجل مثله؟

فقال له والقصيب بتملكها،

«أناك تعني بكلامك أشياء أخرى تظلمني بالتهمة يا دكتور تيودور، وأنا أمتح على ذلك، أنك تبني اتهاماتك على أوهام، فليس هناك من الخفايا ما يمكنه أن يكون قاعدة هذا الاستنتاج».

فقال لها وهو يتصبه لنفسه بعض الشراب:

«أناك تتكلمين كالعلماء لتذكرين الحقائق، من علمك ذلك؟ هل هو والدي»
«علاقتي بوالدك ليست حميمة كما تظن. وتذكر أنني أعمل بين العلماء».

«نعم ولكن منهم جيباء»

«صحيح ما تقول»

«هل صديق؟»

رفع أحد حاجبيه ورجعت تقول مؤكدة:

«نعم صديق، أليس من الضروري يا دكتور تيودور أن يستشعر العالم الحقائق من مصادرها الصحيحة».

ثم بسرعة قائلاً:

«أنا سمعت ذلك دائماً قد يخطر العالم أحياناً أن يفترض نظريات قبل أن يصحح بالتجارب ليكتشف حقيقة علمية يا حارثة».

واستعظمت اسمها على شفتيه وتحرك شيء في صدرها فجأة كالطير الذافر وهو يطير عارياً. وسعت اسمها لأول مرة وقد بدا غريباً وله معنى جميل

ثم سألتها سؤالاً عابراً.

«وهل تظلمين خديعة والدي؟»

«أنا لا أعطاني أن كجهاز وليست خديعة».

قال وهو متعجب، هل الخديعة

«جهازاً هامداً هدماً إلى المصنع ثابتة وهو جهاز ثمين يا حارثة»

«وهل طلبها لهذا ستفقد على أن تنال به بأية طريقة؟»

«على أن تصورك أن تفقد اسمك»

فردت تقول:

«سواء أركب عندما أضي من هناك»

«ولمخرج من مضاعف والدي»

«أعطت لي لائحة الطيور وقال أنت لن تسكن من استخدام مطار واحد. وعندما أذهب لن أحتاج إليها»

«هل سوف تحتاجين إليه، وتعرفين ذلك جيداً، وبما أنه أنفق المال والوقت في تدريبك كي تشاركين محاسنه في دراسة عادات الطيور وأماكن معيشتها. فإذا رجعت إلى منزلك ينتظر منك أن تستري في اهتمامك بها، فبما لا شك فيه أنك سوف تعودين إلى هنا في فترات منتظمة لتشاركيه هوايته».

«له أسلاف وقد استهوت فكرة ما»

«هذا إذا لم تشاركه شيئاً آخر»

«ولم نعم حارثة هذا الطيور اهتماماً قد ألتها أن يهزم منحوالة عن العصفور الأحمر الذي رأته خارج نافذة محسى الجامعة منذ أسابيع قليلة جعلتها مثلياً لواء رجل كاشف ويصور تيودور»

«ولم نعم حارثة هذا الطيور اهتماماً قد ألتها أن يهزم منحوالة عن العصفور الأحمر الذي رأته خارج نافذة محسى الجامعة منذ أسابيع قليلة جعلتها مثلياً لواء رجل كاشف ويصور تيودور»

«ولم نعم حارثة هذا الطيور اهتماماً قد ألتها أن يهزم منحوالة عن العصفور الأحمر الذي رأته خارج نافذة محسى الجامعة منذ أسابيع قليلة جعلتها مثلياً لواء رجل كاشف ويصور تيودور»

«ولم نعم حارثة هذا الطيور اهتماماً قد ألتها أن يهزم منحوالة عن العصفور الأحمر الذي رأته خارج نافذة محسى الجامعة منذ أسابيع قليلة جعلتها مثلياً لواء رجل كاشف ويصور تيودور»

«ولم نعم حارثة هذا الطيور اهتماماً قد ألتها أن يهزم منحوالة عن العصفور الأحمر الذي رأته خارج نافذة محسى الجامعة منذ أسابيع قليلة جعلتها مثلياً لواء رجل كاشف ويصور تيودور»

«ولم نعم حارثة هذا الطيور اهتماماً قد ألتها أن يهزم منحوالة عن العصفور الأحمر الذي رأته خارج نافذة محسى الجامعة منذ أسابيع قليلة جعلتها مثلياً لواء رجل كاشف ويصور تيودور»

الفرقة نسياناً

ثم شبه بالحوار وتصور وقال

«كللني الكثير من المال».

المال - انه الشيء النافع الذي لا يخطر بباله كل من الآثام والآل

ثم قال هارنورد:

«الخصم والمظهر أحسن الوسائل في مراقبة الطيور، يضاف إليها الصبر».

ثم قال لما بعد بعض

«أنعتني الى هذا الطير الذي يعرف... وهذا هي صيغة استفاته لظن ما. أما في

الربيع خلال موسم التزاوج فيضطر منه صوت غنائي، وفي غير ذلك الموسم

يكون صوته كصوت الغاي، وفي الوقت نفسه انه قلق يتصايق لاختلاف الأشياء.

ثم وجه نظره من خلال الشب في باب الخشب وقال:

«ما قوة لونه رمادي يميل الى اللون البني وصوته أفتح لوناً ومنطق يقطع بنية غير

الى الرمادي، فهل عقلت انك سوف تعرفين عليه بنفسك في المرة المقبلة»

وجاوبت ماريان: «ان قية الطير من بين غيره من الطيور التي كانت تعلم

عوله وتروح ونجيء غير القدير، لكنها فشلت ثم قالت:

«انني - حسناً - انني...»

أما البروفيسور فلم يصدق، لقد كان متصراً في فن مراقبة الطيور حتى انه

يصدق أنها نجحت في التعرف على هذا الطير الذي يسألها عنه.

ثم سمعته يقول:

«والآن هل يمكنك رؤيته»

وفي تلك اللحظة أمكنها رؤيته فصاحت تقول بالهيام

«نعم - نعم اني آراه الآن».

فوضع فراشه حول كتفها عندما نظرت اليه ورأى في عينيها شعاع الانتصار

لأنها تعرفت على الطير لأول مرة في حياتها.

ثم نقل هارنورد إليها وكانت حماسة تعادل حماسها. وغيتا ترفد

كعينيها. ولده. تعلمه اهتماماً سعيده. وكان تغيير وجهه لا يعكس الوقت.

الأبوية أيضاً تأثمت ووجهها وعلى محيها نظرة غامضة

ومن الصباح ولكنه التمس على نجاحها في التعرف على هذا الطير فقط. ثم

ذالت له وصوتها يقتصر الى الشقة.

هذا كان في إسكاسي أن أقرأ كتابه

«كتب».

وعدا سعيداً بنجاحها ثم أوقف يقول

«لحق الكثير من الكتب عن الطيور، سأختار لك أسهلها كدابة ثم ندرج الى

الأكثر تعقيداً»

ثم استشار إليها وقال ثانية

«أنا سعيد جداً لأعوانك تشاركتني حماسي».

وبعد ظهور ذلك اليوم رجعا رابعا فجلس في غرفة الاستقبال خائفة من

الكتب التي تعالج موضوع مراقبة الطيور، وكثير البروفيسور قد رجع ثانية الى

علا. ولم يشأ أن يرهاها. كما قال، بأن يعطليها معه ثانية الى الخشب.

ورجعت الى خلال أحد الكتب صورة - صورة - تبدو على وجهها انعكاس

الشرفة. عينيها الكبيرتين اللتين نظرتان الى المرء وكأنها تلوميه. وقالت لنفسها

أنا من لمي ان أعرف على البومة اذا رأيتها فكيف يمكن البروفيسور شعوره

من التعرف على أي طير بواسطة عينيها فقط؟

وكان رايان قد نزل لتناول الشاي وضحك عندما رأى الكتب متناثرة

حولها. وكانت صحتته كلها سخرية

وقال له

«أي من الحارطين التأثير عليه؟ هل هو والذي يظهر حماسك وتكرسك له أم أنا

عندما أرى العزم على إظهار استعدادك للتعلم وبذا تكونين أصلاً لاني أكوني

محبطة على أحد أنواع الأسيرة»

فظهرت اليه وقالت

«أنا لا أحاول التأثير على أحد ومخصوصاً أنت. وإلا كنت أقرأ كتاباً في الجيولوجيا

أليس كذلك»

لما غفل في جلسته وقال:

«أناك تغريبي بأن أحضر لك عدداً من الكتب عن وقوف مكشي. وأفرسها عليك. وبعد فترة من الزمن أستحكك فيها اكتسبت من معرفة جديده.

جيوولوجيا. فثبت من نظرها فلم تشأ أن يرى مدى اهتمامها بهذا الموضوع.

ثم استهت بطول

خفاذا فعلت حل بروني لك عداء

روحه عليه بعدة أكثرات

«نعمطلي كتابا في الجيوولوجيا لأقرأها» انني أقرا هذه الكتب وأفرس حركة الطيور لأرشي والكتب.

«وهل معنى ذلك أنك لا تودين إرهابي»

«وهل هناك سبب لذلك»

«وقع نظرها على صورة نسر. ولكن حواسها كانت تلفظ الحركات السريعة وتوتر العضلات وغضب الرجل الذي كانت تكلمه.

ثم قرأت مارييتا عن النسر لا شيء يمكن مقارنته في دنيا الطيور بالنسر النحس من حيث العظمة والري. فهذا الطير الفاس العظيم بحاجة الكبر من التسلط ينقض من السماء على فريسته بسرعة فائقة لا تصدق. وكأنها وقعت في كمين. ثم يأخذها ويأكلها

ارفعت مارييتا عندما تحرك رايلز. وقال على مشهده واسترخى كالطيور الكاسرة.

وفي أثناء العشاء أعلن هارفورد نيته دعوة أستاذاته من مجلس مراقبة الطيور إلى منزله. هل أن تشأ هذه الدعوة باجتماع يليه تناول الفهية والتداول وقال في ذلك

«سيكون عددا جوازا حبة شر مارييتا»

ثم نظر إلى مارييتا وعاد يقول.

«ويستعدي يا عزيزتي أن ننشأ في قلبي دور المصيفة»

وبالرغم من أن العشاء كان في أوله شعرت مارييتا أنها فقدت شهيتها

فوضعت على المائدة الشوكية والسكين ثم تناولت كوب الماء. ولكن الماء الخليج لم يغير ولم يهدئ من اضطرابها.

فإذا لمعت نور الفسفوف معناه أنها تتسلق مع هذا الرجل. ومعها أمضت في منزله من وقت وأتت في حياته الحالية فهو ما زال بالنسبة إليها في منزلة المثل العليا التي لا يمكن الوصول إليها ثم ترحب بقبوله وكأنها تنسى أن هذا البيت هي مارييتا نوبيل. مسافرة الممثل الصغيرة كما يسميها ابنه الصغير ثم قالت

«ولكن يا دوفوسور - يا هارفورد - أني لا أصح لاستقبال ضيوفك» ثم قالت رايلز:

«هل تشكين في حكم والدي يا مارييتا وهل تقولين بطريقة مقنونة أنك لا تشكين في مقصده على تقدير نسبة الشخص لوالدي عبيد كذبة في الجامعة ويخون جميع العقول. ومنهم فخرته أنه شعر بالذكاء الكافي في إحقاق الحق فحرق ناله مثل مساعدة المصل الشابة. ويرى فيها إمكانات لتعلم لم تكتشف بعد»

ونظر من طرف عينيه إلى والده وكأنه يحاول أن يرى تأثير لعدبه له.

ونظرت مارييتا إلى الأب ثم إلى الابن. ورجعت ترونا إلى الوراثة. وكان الرجلان يهيمتا في عدا. عائل مرير لا هوادة فيه. لا ينقبض إلا بالشارزة ثم الموت. ولكن من منتهى سيئور له الزناد. ومن منتهى يخضع لسيف الآخر لا يمكنها التنبؤ بذلك... ثم أعترتها رجفة.

واللهيت وجنا البروفيسور ولم يكن ذلك من تأثير الثراب ثم فجأة إهانة ابنه كي يبعده عنه

«أنني لن أقبل من مقصرتك فاني سأشرفك إذا وقعت بينائي وبعضي كي تسلي حسري»

شرف أن طيبة البروفيسور وكرمه وروحه السخية تدهشها ثم قالت له: «والعكس هو الصحيح»

ولكن يده المرفوعة أسكتتها. وسعقت ابنه بقول سافرا

«يا إلهي انك تظلمين من قبيحتك»

وهذا بعض. كما ظنت ماريشا. وهي ترى النظرة الفاسدة في عييه. أنها تشعها
تظن نفسها في مستوى منخفض إذ هي تعد نفسها في مستوى أقل من مستوى
والله.

«لماذا كنت رايت في سماء هذه الدرجة. وإذا كنت تعترضني تحت مستوى تفكيرك
تذكر أنك أشي وأنت لا بد وأنت بعض صفاتي السيئة»
وجه رد هارفورد. بالرغم من أنه كان حاداً. نظرياً على نفسه ومجموعه.
وتعجب ماريشا وهي تنظر إلى الأب ثم إلى الأبن لماذا يكره كل منهما الآخر
في هذا الجوف ولماذا يستخدماها كسلاح!
ثم قالت له بحزم وبهجة التحدي:

«كم هو رائع أن ألعب دور المصلحة لك ويحس أن تطالب مني بذلك»
ظهر الجهد والغضب الجاهل في عيني الأب فقد انفطت ماريشا إلى صفوف
الأعداء.

وبعد الغشاء خرج رايلان فسمعت ماريشا وهي جالسة في غرفة
الاستقبال مع هارفورد صوت الصبارة وهو يهز. فتعرت بوجه مفاجئة من
الحرارة والسحب جعلت عطفها يهوي وجوانبها لا تستجيب. ومن العجب أن يرد
هارفورد على سؤالها الذي لم تشأ أن تسأله

«لا بد أنه ذهب للقاء صديقته غداً فليكن على موعد بمحطة من قبل
وكانت تسكن هذه المنطقة إلى أن وجدت وظيفة مرموقة في الخدمة المتواجدة.
وتعتبر آخر صديقة له من سلسلة صديقاته المكتوبات»

كان هارفورد يتكلم بغضب عن عدم وفاة ابنه لسانه.
ثم قالت ماريشا

وقال لي إنه يذهب في سبيل عمله إلى أماكن بعيدة»

«هاته قللي حشمت. ولذلك كان الفصل لعله أن يبدى بتفكير الجوف المحيط به وهو
التي الذي يحتاج إليه كما يحتاج إلى التفكير الدائم في صحته للشباب»

ثم نظر إلى ساعته ورجع يقول:

«أنا أشك في رجوعه قبل الساعات الأولى من الصباح وربما في الصباح»
ولامت نفسها لأنها فكرت ذكر رايلان. فقلها لجود أنه سيقتي الليل كله
مع صديقته.

وسمعت هارفورد يقول:

«سأذهب إلى غياني يا ماريشا. فهل تأتئين معي لمراقبة تصرفات الطيور عندما
يقترب المساء»

وأخذاً يتشاركان في المراقبة معاً في الغابة بجانب الغدير. وكانت ماريشا تجد
صعوبة في منع أفكارها من التساؤل عن رايلان. وأين يكون الآن. كانت
الصورة التي تليتها عنه وهو بين ضارعي صديقته تدور فيها الفكر. وأخيراً
تستسلم مما جعل هارفورد يقول لها أنها حرة. فلماذا أرادت أن تطهر الحشا
وتتحول في الأراضي المعبطة به بتكبتها ذلك شرط ألا تفرج الطيور وتجعلها تطير
هارة

وكانت رائحة الليل وزخوره تعيق الجو خارج المحب. ويروده لجعل ماريشا
ترجف وهي مرعدة ثوباً خفيفاً. ولذلك رجعت إلى المنزل ثوباً وأثناء صعودها
السلم كانت وفات للمها تطفي على وقع أقدامها وطرات لها فكرة أن رايلان
سيكون في الخارج. وقررت مكنته غداً فلماذا لا تصعد إليها لترى المنظر المحيط
بالمزبل منها؟

ودفعت الباب وتلفت حولها بخوف وكأنها تنظر أن تجد شيئاً في الغربة على
الرغم من أن الغرفة كانت خالية شعرت بوجود صاحبها فيها فاهلوا. تلك تملك
بشخصته المعبدة بشبه. وبسوته وجاذبيته ورجولته. وتناهي كذلك بتفاهته
فالوقوف قتل. بالكسب العفوية وهل مكنته تناثرت الأوراق التي دون فيها
ملحوظاته. وأخذت ماريشا منظره وعقلته في كتفها حتى تؤمن سلامته ثم
قامت لترتكز على النافذة وتصرّب انتظار بحر الخيل الذي يحده البحر لكنها وجدت
أن البحر اختفى وراء الأفق.

ورأت تحتها عن قرب الغابة بجانب الغدير وفي مكان ما بين الأشجار كان

البروفيسور يراقب الفيلوسوف. ثم سمعت وقع أقدام قوية على السلم ثلث على أن صاحبها رجل. وأنه يقصد من غير شك غرفة المكتب. فليس في الدور العلوي حجرات غيرها. فجمدت مارييتا وخبت أنفاسها. هل هو غارثور؟ جاء يبحث عنها؟ لا شك أنه ليس ابنه. واستدارت بقوة عندما فتح الباب وسمع نور أما المظلم الذي كانت تحلقه في كتفها فقد ارتجح في الهواء ثم اصطدم بالميكروسكوب المصنوع على النخلة وعند اصطدامه بصوت رهيب سقطت إحدى الشرائح الزجاجية الصغيرة التي تستعمل في التجارب على الأرض ونفتت. ثم سمعت مارييتا صوت ارتطام فالتفتت وهي لا تفكر على النفس لتري الكاميرا التي كانت مربوطة على رأس الجهاز تسقط على النخلة فالمظلم في حركته اللوية مزق الأربطة التي تربط الكاميرا بالميكروسكوب وجعلها تهوي.

ولم تقو على مراجعة ظلمات صاحب الغرفة أو غضبه. لمات في عينيه غضباً ملتهباً. نظرت عيناه إليها أولاً ثم إلى المظلم ثم إلى التلف الذي سيئته. وبعد ذلك بدت نظراته وأصبحت في درجة الحرارة التي تسبب حروق الفسفح. وأطلق السباب الذي جعل مارييتا تخاف وتزهد. ثم عبر الغرفة إلى المنضدة التي وضع فوقها الميكروسكوب المصنوع والنظف الكاسيرا ولما أخذ يقفها وينظر إليها لم تقو مارييتا على التحرك وحف ريقها وتسابكت يداها في رأس وضعف تنفسها.

«نعم، إنها ثققت ولا بد من إصلاحها».

ثم التفت إليها فتراجعت تحت تأثير ثمرات صوته التي تشبه السوط وأردف بملول:

«ومن حسن حظك هناك متاجر في البلدة يمكن أن يجدنا بالجزة الثالث ولكن سوف يكون ذلك سبباً في تأخير عمل بقسعة أيام».

لمست تقول:

«بشرجة الزجاج كسرت».

ثم انحنى لتجميع القطع المتناثرة لكنه نهىها قائلاً:

«اتركيها. قلن بذلك إلا جرح يدك وسوف يقصّب والذي غضبه علي. وأنا أكره أن يتهمني بأثني كنت السبب في جرح مساعدته الصغيرة».

قالت:

«أثني - أثني أسفة. فلم أتسبب في ذلك عن عمد. وعادة أكون حريصة جداً في تناول الأجهزة التي أستعملها بكثرة في عملي. كانت حادثة مفاجئة غير متوقعة» فرد بخشونة بقول:

«كل الحوادث غير متوقعة ولكن كان يجب أن تقدرى فأنت على مستوى أعلى من اللثة المتوسطة الذكاء. أليس كذلك؟»

وكبرت سماع صوته الغاضب فارتفع صوتها مع الدم الذي تسعد إلى وجهها وقالت:

«لم أكن الكاميرا أبداً بل كان المظلم».

ويل الذنب هو التجسس على العمل التي أقوم به. وجودك هنا بدون إذن وذلك واضح من الطريقة التي استشرت بها لدى دخولي».

فردت تقول:

«أعترف بخطائي. وكان يجب علي أن أسأل أولاً في الدخول لكذلك سميت في الخارج... لم ألتجس على عمالك أبداً. فكيف تهمني بهذا الأمر المظلم؟»

«لأن هذا التجسس يحدث كل يوم. ويسمى التجسس الصناعي ومن يدري لقد يكون تحت تصرفك البريء الذي يبدو عليك. اننا نرك إلى شبكة من التجسس الصناعي. أنا أعمل في شركة تفرس على المعلومات التي يجمعها موظفوها ويقيمها برأ خاصاً به».

«أنا أسفة لأنك لا تحسن ظنك ياخلاصي. وتعتقد أنني دنيئة أقوم بأشياء أسراراً التي. حتى إن تقرر لي أن أراقب. لكن أنفهمها. وأسفة. لتلف خسرت أوقع ثمت. وعندما تعرف التكاليف أخبرني بها حتى أكتب لك شيكاً بالمبلغ».

نظرت إليها لفترة طويلة وقال:

«أه لو تعرفين القيمة العالية لهذا الجهاز وهو يخص الشركة التي أعمل فيها. رجعت رأسها هدياً وقالت:

«كالذي يخضع لمفاتيح المرأة أثناء الليل ثم يتركها ويمضي في الصباح».

ثم قالت بمرارة وهي تبحث في الظلام عن الباب فلم يجدها.

«تعود إلى حريتك».

فقال يردد بسخرية:

«إلى حريتي».

٨- لعنة البومة

قالت ماريسا للانفطار في اليوم التالي فوجدت مكاناً حاراً قوياً خائياً وأقواته مستعملة. فأسرعت في تناول طعام الإفطار حتى تتلاقى رؤية راين. ولكنه دخل قبل أن تنتهي من الطعام. نظر إليها وأبسم بسخرية عند رؤية بطولها الضيق المصنوع من القماش الإسبيك. والبؤرة ذات النعش الملتصق ثم جلس على مقعده ولم يلتفت إليها وكأنه أبعد ما يكون عن فكره.

وكان يرتدي ملابس عادية هذه المرة أيضاً ودخلت السيدة فيسك بخطوات سريعة قوية. وأمسكت بقطعة من القماش لتجني نفسها من الحرارة وأمسكت بضمير فيه لحم وريش وضميرته أمام راين. فابتسم لها ابتسامة عذبة.

ولما غادرت السيدة فيسك الحجرة حوّل ابتسامته إلى ماريسا. لكن العنوبة تحولت إلى سخرية. وظلّ يلزم القصة. فهل كان يفتحها ليعرف مدى تحملها لصلته؟ لم تناول الحريدة عن مقعد والده وطواها وراح يقرأ جزءاً من الصفحة الأولى. ثم غاب في الفزاة عن العالم. وصعدت كمي تتحمل ابتسامته الانتصار التي لاشك سوف يمتزجها إليها. وقصفت الباب ورأسها مرفوع ثم خرجت وأغلقت الباب وراءها وغيبت في الجهر فالتجهر بمساحته الكبيرة له تأثير دائم عليها يستلذه اللعالي وجدرانها المنقوشة. ورأس الرجل المخطط المعلق فوق باب مدخل المنزل وشعار العائلة المصنوع في السقف. وكانت كلماته باللغة اللاتينية

فتسالت بقصود عن معناها ثم خرج هارلورد من مكتبه ووقف بجانبها ووضع يده على كتفها، وفي تلك اللحظة فتح الباب وخرج رايان من غرفة الطعام ولكن يد هارلورد بقيت كما هي. فمشى رايان الى المنصة الطويلة المستوية من خشب البلسط والنقطة إحدى المجلات ثم انفتحت ماريتا نعره خلسة ورأت على خلاف للجنة حصور طير قارداً جناحيه. وكانت إحدى مجلات هارلورد التي تعالج مراقبة الطيور فتعجبت لقراءة رايان لها.

ثم قال البروفيسور تيلور:
«سأذهب هذا المساء الى غرن كير بلع فيه الحديقة الكبيرة على الجبهة الأخرى من أرضنا وسكنه برصة من النوع الذي يسكن المغازن الكبيرة. وأتقى من زمن طويل أن أسورها. فهل لك أن تأتي معي، إذ ربما وجدناها تشاهدناها»

«سأذهب ماريتا»
«صورة في الظلام»
وهنا سمعت رايان يرد بدلاً من والده ويقول:
«صورة الإلكترونية بالكشاف القوي»
فكانت ماريتا وهي تتجاذل الاين
«نعم أود أن أتي معك»
لغضبت بيده التي كانت مازالت على كتفها لسعادته وقال:
«سأ»

ثم أخذت يده تربت عليها وقال:
«سأذهب بعد الغداء معاً»
نحسب نظراتها بنظره نرات فيها برحاً غريبة وكانت تشعر شعوراً غريباً بأنه ينظر إليها ولا يراها. ونظري إليها أن نظره يخترقها وكأنها شبح ولكنها عندما اتيست له كانت ابتسامته دافئة وبها شيء من الحفاة ثم قال:
«سأقبلها لي وجود من يؤمنني. لقد ملكت الوجة»
وشعرت ماريتا أن نظره رايان يقع عليها. ثم رجع هارلورد الى مكتبه ثانية وأغلق الباب. وبقيت ماريتا الشعور بالظلم الذي حوط عليها

كالتطير ثم قصدت السلم ماراً رايان في طريقها، لكنه ألقى باللعطة جانباً ومن يده وأمسك بها. فأرادت أن تتخلص منه غير أن الأصابع التي كانت قبلك بها بطيئة غاصت في فراغها بشوة. إذ كانت يد إلسن غامض. فكانت له وهي تنأى وتحاول أن تشاربي الأمل

«ماذا تريد»
«التفت مع والدي على مرغد»
فالتفت وجنتها وثالث:
«لا تكن مخيفاً... لا شيء سوى انقاي كمي أذهب معك عندما يتصور البرصة»
«أنتذهين الى المخزن في جتح الظلام»
«هناك لا يبقى أكثر من غفل خاتم طير. لا نعلم أحداً بخصوصاً والدك ولا تقص تصرفه بتصرفاتك الدنيئة»

«أشكرك على رأيك في مبادي. أخلاقي، وبالرغم من نفاذ والدي فانه إسماع. وهو رجل لم يسمع الحسن من غيره الا قليلاً وبذلك لا يعنى في هذه الأيام كثير السن. كما أنه بصحة جيدة ونشط وبكده إقامة علاقات مع امرأة إذا أراد ذلك»
انتهت وجنتها وارتفعت يدها في محاولة بانهة لتضرب راسه اليد التي مازالت تلمس على يدها ولكن كان ذلك بدون فائدة. وبقيت أصابعه لغوص في يدها بشدة.

وقفرت النموع الى عينها ثم قالت:
«أرجوك دعني أذهب فانك تولني»
ولكن كانت وهي لتأطيه كأنها لتأطيه حجرة أصم. ولم تؤثر فيه توسلاتها ثم قال لها:
«ها أنت التفت مع والدي على مرغد هذه اللحظة. فاني أقدم لك دعوة لعد طير هذا اليوم»
قوت تقول:
«لا. شكراً...»
«انا ذاهب الى نورويش. ومعنى تلك الكاميرا التي تسيب في كسرهما للفتور

على قطع الغبار اللازمة فهل تأتينا معي؟

«الكاميرا التي تبيت في كسرها» أراد أن يذكرها بتهارة في تلك اللحظة التي لم تنتبه فيها وأثقلت قطعة خامة من أحد الأجهزة عندما افتحمت مكتبه بدون دعوة.

وكانت وخزة الذنب التي شعرت بها إلى جانب الألم من ضغط أصابعه التي لا ترحم، كلها مجتمعة على عليها الموافقة. ثم خلف من الضغط لكنها تأثرت كثيراً من ريق الانتصار الذي بنا في عينيه. وكانت تفصل أن تشعر بالألم وحده. ثم صعدت السلم هاربة منه.

وبعد أن مشطت شعرها ولوثت وجهها بمكياج خفيف وغسلت يديها، سمعت التليفون يرن في مكان ما بالمنزل.

وبما أن الوقت كان قرب الغداء، فكرت مارييتا أن تنزل إلى الدور الأول. ولتحت باب غرفتها وعلقت إلى رأس السلم... لا بد أن المكالمات التليفونية كانت تجتس راياين لأنه كان يشكّم ويشمكك في اليوم.

بقيت مارييتا مترددة في النزول وسبعته يقول: «لا يمكن أن أعملك يا غورين» فسأكون مشغولاً. تلولين امرأة أخرى يا حلو، أن الآوان أن تعلمي شيئاً عن حقائق حياتي. قلدي امرأة تحت أمرتي في كل مكان من أركان العالم. إذا أودت أن التقى بامرأة لها على سوى أن أرفع ساعة التليفون... تقولي إن هذا لصاحبه! لا بل هو الحليفة المبررة.

بدت من مارييتا حركة لا شعورية سمعها راياين فرفع رأسه إلى أعلى ورأها وقد بدت في عينيه نظرة متوترة. فاستدارت ورجعت إلى غرفتها.

جلست على السرير وانتظرت ثم ثابعت تتجول في الغرفة ولكن لما سمعت ناقوس الطعام لم تتأخر عن النزول.

وكان راياين مازال مسكاً بساعة التليفون. فمزلت درجات السلم ورأسها مرفوع وعيناها تنقذان النظر إلى راياين وهو مسترخ على القعد ويتشم الشيء لانه له المرأة على الجهة الأخرى من الخط.

وسمع البروفيسور لأول مرة، بيته راياين في المخرج مع مارييتا قبيل

انتهاء العشاء. فلم يصر لذلك وتعجبت مارييتا لسؤالاته المنطوية على العراك الحقيقي والموجه إلى ابنة.

«لماذا تبتعها عطلة؟»

«ولم لا؟»

واختار البروفيسور وحاول أن يجيب جواباً مقتضباً يرد به على ابنة فأخذت عيناها تدوران في الغرفة وكأنه ينتظر من الإثبات أن يبدد بالرد وقال:

«أنا سأكون في المخيا، ومارييتا يصرها ويسعدنا أن نقرأ الكتب التي أعزينا إياها عن مراقبة الطيور، فإذا كان اهتمامها في هذا المجال سيبقى عيقاً - كما أظن - أمامها الكثير من العمل الذي لا بد أن تنجزه».

قال راياين بعدم اهتمام وهو يقوم من مقعده.

«هي والقت على ذلك - تعالي يا مارييتا».

نظرت مارييتا إلى البروفيسور على الفور فرأته في سبيل أن يقول شيئاً وغالباً ما كان يتري الاعتراض، وسألته قائلة:

«هل لديك مانع يا هارلورد؟ إذا كنت».

فقام هارلورد وقال:

«أذهب معي يا مارييتا لتري ثورويتشي فلا يوجد في القرية سوى محلات معتادة لا تناسب مع ذوق أحد».

نظرت إلى مارييتا ثم إلى راياين وقالت:

«لا بد أن أذهب للاستعداد».

أوقف راياين سيارته في المدينة. واكتشف أنه يوم السوق وسألها لتبلا:

«ماذا تفعلين؟ هل تودين زيارة معالم البلد أم تنسقين في المحلات؟ فهناك الكثيرانية».

وأخذت بعد على أصابعه...

ويرجع تاريخها إلى أيام الروماندين في القرن الخامس عشر، ولما برج بعد ثاني أبراج انكلترا علواً. ثم يجدين مدرسة القرية من القرن الرابع عشر حيث كان اللورد تيلسون طالباً، وبجانب السوق تقوم دار الحكومة ويرجع تاريخها إلى

القرن الخامس عشر. ثم يجب ذكر قلعة ثورويتش التي بناها الترومانديين والتي أصبح جزء منها متحفاً الآن. ثم دار الغرياء. وقد سميت بذلك تكريماً للمؤلفين الفلامنغ الذين أتوا ليستوطنوا المنطقة في القرن السادس عشر. وأضاف:

«أحبها مختارين. إذ سوف تكونين وحده بالمحل الذي سأخذ الكاميرا إليه يتبع في شارع جانبي. ركن أثير الوقت الذي سوف أمضيه هناك».

قالت:
«أهلى أنتي سأستغني عن زيارة معالم المدينة هذه المرة. فلن نروي في وأنا يفرد».

«وإن فلطمين الذهاب إلى السوق»
فبزت رأسها موافقة ثم قال لها وهو يقيض على ذراعها:
«أوصلك الله وأستغني هناك إلى أن أرجع إليك. فاجيئي في السوق إلى أن أجدك».

وعندما وصلا إلى السوق قالت له:
«في السوق الكثير من الناس فكيف ستجدي»
وأعرف كيف أجد الفتاة التي غطت شعراً لونه بلون شعري. وبالي خصائصها لا تنس بسهولة».

وايتم لها ثم ذهب واختفى بين الناس بعد أن قل لها:
«تعتني بوقتك».

وقيل أن تشد ماريتا طرفتها بين الناس الذين كانوا يساوون أقسام البضائع. تصدت الشوارع الضيقة المرسولة بطعم الحجارة الصغيرة والحوادث فيها صارت بالنازل الدخمة وظلّت إلى الممرات الضيقة التي تصب في الطريق الرئيسي. ورأت الأثاث القديم ومعارض الفنون. ومرت بآماكن المخرجات التي ظلت أنها تختوي على آثار من تاريخ المدينة القديمة.

وكان الناس يمشون والموسيقى تعزف. وكانت أقسام الفاكهة تبعث الجو رائحة الفاكهة الخاصة بها. بعضها ذكي وبعضها غريب. أما الزهور فبالأثر

المكان بألوانها الزاهية التي تعذب النظر.

ثم سمعت ماريتا صوتاً بجانبها يقول:

«من الغريب أن تشرك على الأقل في شيء واحد وهو لون شعر كل مناه»
فصغرت بالتردد وحسرت أنفاسها. فقد عاهد رايمان وكانت بفناء خاليتين.
وأمكنه أن يقرأ أفكارها فقال:

«التاجر الذي قصده نددت من محله تلك النطعة الهامة التي طلبتها»
«هذه سوف تبقى إلى أن تحضر الكاميرا» التي أسفة لأنني سميت لك كل هذه المتاعب».

فقال بتهكم ولو أن ماريتا استشفت وراية نوعاً من القسوة:
«أقني أن يحزم وزرك بشدة على كتفك الرشيق. فهذا الأخير يسبب لي الكثير من المتاعب».

ومشي بجانبها بلفت نظرها إلى ما تحربه أقسام السوق من بضائع. وقال لها إنها يشتركان في هوية واحدة وهي زحام السوق. واستطرد:
«ويمكننا أن نبني علاقة على هذه الحقيقة».

فردت ببرود على كلامه قائلة:
«ولا أرى أي داعٍ لمحاول أن تبني أي نوع من العلاقات. فأنتي هنا ضيقة حديدة لوالدك. وعندما أرجع إلى بيتي بعد انقضاء الزيارة لن أرى أي سبب لكي نلتقي ثانية».

وتجاءت وحوون إشاراً استشارياً لواجبتها وبذ الطريق أمامها وترك الناس يمشون حولها. ونظر إليها وقد ضاقت عيناه ثم قال:
«أناك لن تستطيعي ذلك».

لأجتماعها القسب الجامح فجأة وقالت:
«هل لك أن تتركتني وحدي؟»

وكانت جماعات الناس التي قرّ بجانبها تيشم ويغزل للنساء «هذا تراك المحبين». رجع رايمان إلى مكانه بجانبها واستمر في السير.
«لا. إني لا أريد أن أتركك وحده».

فالت والكلمات تخرج من بين أسنانها.

«أناك تسب لي الاشتزاز»

ولكنها ندمت على حماقتها، فهو ابن مضيئها وليس ظا الحق في حماطيتها بهذه الطريقة، وهو يملك يكون غريباً عنها، إذ لم تعرفه إلا منذ وقت قصير، وكان تخطيطه وعيوسه قد أجبرها على الاعتذار له قبل الاعتذار به كتحية بلا مبالاة. ثم نظرت إليه قرأت شعره البني وخصلة منه تنزل إلى أن تصل إلى أحد حاجبيه، وأتته الأستراطي ولحمه الراسع وشفتيه المكتنزتين، لكنها غشيت من بصرها عندما قابلت نظرتها الساحرة الغريبة.

وشافت رأسها فكرة تخطيطها وتقول لها أنت لا تشعرين بالاشتزاز منه لأنه يتمتع بصفات لا تنقر لها ذلك كالأحلام، ونظرة عينيه تدل على الاستقلال والاعتماد على النفس...

ولكن تخفي عن نفسها اضطراب أفكارها أطالت مارييتا الوقوف بجانب أحد المخيلات بالسوق، وراحت تلمس الملابس المروسة وتفحص شالات من النسيج الأبيض مشغولة باليد بخرات بعدة جميلة الصنع. حسداً رقيقاً كسج العنكبوت، وتحييت نفسها تشبه على كتفها عندما يبرد الجو في المساء. وعندما سألت البائعة عن ثمنه وعرفت ارتفاع سعره أحلته إلى مكانه وهي تنهد بصرة واستمرت مارييتا في تجوالها. وكانت تسير رايان بمسافة طويلة ولكن هذا لم يضايقه وتساءلت لماذا هي جاتمة الخلاف مع ذلك الرجل! ألا يمكنها الوثاق معه في أي شيء؟

ولم تهد رايان بجانبها، فهل أغضبتة حتى أنه تركها ورجع إلى منزله. لكنها شعرت بيد على كتفها جعلتها تلف ساكنة.

ثم قال لها:

«إن نجاتنا من الظهيرة قد يصلح مزاجه...»
لغالت:

«لا أريد الظهيرة، وشكراً لك»

وكانا يقفان بجانب قسم المجلات. وكان البخار يخرج من المياه الساخنة.

لأمسك رايان برسغها وجذبها نحو المحل. وقال للساقية:

«ريد قهوة للاثين واثنين من هذه الأشياء المحسنة بالكريمة»

فالت المرأة البدينة وهي تبسم له وتدل طبعها على أنها من هذه المنطقة.
«إكلير بالشوكولاته، أنها لذينة»

وكانت مارييتا تنوي رفض الحلو ولكن إذا قالت «لا وشكراً لك» غضبت صاحبة المحل اللطيفة التي تعز كثيراً بما أنتجته يديها.

وقالت مارييتا وهي تنظر في كيس التمره لتخرج العملة الصغيرة.
«سأفقد ثمن طلي»

فرد يقول:

«تأخرت لأني دفعت الشن»

ثم رجع نجاتنا عائلاً ويتم يقول:

«في نخب علاقتنا المستقلة»

ثم رشفت القهوة ونظر إليها بشمعة وأردف يقول:

«عنها كان شكلها»

ولكن مارييتا ردت تقول:

«ليست لدي الشية كي أقيم أي علاقات معك في المستقبل»

فصاحت رايان وهو يعطيها قطعة الحلوى الثانية. التي قبلتها بعد فتح ولكنها لم تحسن أكلها. لقد وجدت الكريمة طريفاً إلى جاني لبها ويكفيها وقال لها رايان ساخراً:

«لست معتادة على الحشونة»

«وهل أنت معتادة على ذلك؟»

«بكل تأكيد قلت لك إن العالم بأسره هو مسكني فعبثت معتادة على الحشونة»
وحاولت مارييتا أن تجد مديلتها لتطلب بها الحلوى ولكنها لم تجده. فقال لها:

«هناك كريمة على ذلك»

وقبل أن تكتشف ما يرمي إليه وتعرف نيته، كانت يده تلمس رأسها من

الحلف وقد بدأ يتلفظ وجهها.

وسمعت صوتاً يقول:

«رايان يا حبيبي»

فكثت اليد التي كانت تمسك بالتمثيل عن الحركة. ثم استمرت في عملية تنظيم وجه مارييتا، ولكن مارييتا استدارت لثرى الفتاة القادمة.

وضع رايان التمثيل في جيبه وأبقى يده فيه. ولم يبد أي ترجيب بكلام الفتاة القادمة.

قالت الفتاة وهي تنظر بلشول الى مارييتا:

«لقد خشت أن أجدك هنا يا حبيبي. من هي صديقتك يا رايان؟»

فرد عليها يقول بالتعجب:

«وليت لك على التليفون اني سأكون متغولاً».

«قدمني لصديقتك يا حبيبي».

فهرز رايان رأسه بدون جواب.

«يا مارييتا أهدم لك دورين فوستر وهي صديقة لي يا دورين هذه هي مارييتا ثيريل».

ثم نظر الى مارييتا بطرف عنيبه وقال:

«وهي صديقة وزميلة زميلة صديقة جداً - لوالدي».

تعميت مارييتا من وصفه ذلك. هل كان في تيمه أن يستهين بها أمام حبيبتها؟

ولمحت ذلك في نظراته لما فحقت أن قلها هو الحقيقة. إذن فسوف ترجعه من

وجودها المخرج. فيمكن أن يبقى مع صديقته وحدها وهنا قالت:

«لو كنت أعرف أنك ريت لك مع الأنسة فوستر اليوم لكنت أحجبت عن الحضور مطلقاً».

ثم نظرت الى ساعتها وقالت:

«أرجو أن تأذن لي يا دكتور ثيودور بالانصراف فأجد محطة الأوتوبيس

وأرجع الى والدك».

فعبست دورين. ثم ابتسمت وقالت:

«دكتور ثيودور - رايان! لماذا تنكلم بطريقة رسمية؟ إذا كانت صديقة للعائلة ود رايان يقول:

«صديقة لوالدي. والسبب ما تعتبر الأنسة ثيريل نفسها أعلى درجة واحدة فقط في السلم العلمي من المرأة التي تقدم الشاي في المطبخ الذي هو في الوقت نفسه مكان عمل والدي وهي تعتبر نفسها في مستوى ذكاء متخلف فلا تنظر لنفسها وكأنها في مستواها».

جبت مارييتا وأفقفة فكشها ما قاله رايان. ولكنه أمسك يدها وقال:

«سترجعين معي».

ولكن مارييتا خلصت يدها بقوة بدون أن تأبه بالألم الحارق الذي سببه أصابع رايان على جلددها. وجرت نحو الجمع وللمت بين الدوريم الضامكة.

سمعت مارييتا رايان وهو يلقي عليها سؤاله بينما كانت تنظر الى صورة معلقة في غرفة الطعام.

«لماذا لم تنظريش».

وكان هارولد لم يظهر بعد.

فردت تقول:

«ووجودي لم يكن مرغوباً فيه. تعلمت الشيء اللائق الوحيد. تركتك حتى تنعم بصحبة الأنسة فوستر بدون الإحراج لوجود شخص ثالث. لو أخبرتني أنك سلاتني بصديقتك».

«ولكني لم أرتب اللقاء بصديقتي».

«سمعك تكلمها بالتليفون».

«لا بد أنك سمعتي الأولى لما سأكون متغولاً وكنت أقصد أن أقول لما إنني لن أفكر من ربي لها. ومن الجلي أنها طلت بين الظنون فصصت أن سمعتي. وما هي قد نجحت في ذلك. ولكن كيف رجعت الى هنا».

«رجعت في الأوتوبيس».

وأخرج رزمة من جيبه وأردف يقول:

«لو لم تهربي كنت سأعطيك هذه الرزمة في رحلة عودتنا».

ولكنها تردت في أخذها فقال لها:

«يا خنيا فلما كان أمي يعطيك هدايا نعم لا أعطيك أنا أيضاً؟ وعلى كل حال هذه هي طبيعة العائلة»

ولكنها ولقت ويداعا سبلتان وقالت:

«ولكن المنظار لم يكن هدبة فهو يحسني حين أذهب لمراقبة الطيور مع والدك»
«انه هدبة لا أكثر ولا أقل»

فتحت الرزمة وراحت الهدية فوجدتها النخال الصوف الذي أطاكت اليه انظر في السرق. إذن هذا ما كان يفعله عندما اختفى للفترة وغاب من جيبها. كان يشتريه لها وسألت نفسها لماذا؟
ثم قالت:

«لا تتجراي ولجاولي أن ترجمه لي ثانية. فإذا فعلت فستعمله لنفسك»

ثم اقترب منها ورفع يديه الى عنقها

فتراجعت مارييتا الى الوراء. لا خوفاً من تهديده ولكن خوفاً من لمسائه. ثم هزت رأسها وقالت:

«انه جميل ولطيف منك أن تهديني لي واني افقد ذلك جداً. ثم فتح الباب ودخل هارفورد. وراحت عيناها الصورة بأكلها وكان من الجلي أن هذه الصورة لم تعجبه»

تقدم رايلز الى حقيبتها، وأخذ النخال منها وفرت ثم وضعه على كتفها. وكان ثوبها عاري الكتفين فتعرت بالنخال الدانتيل يلامس جلدنا. فرفعت عينيها الى رايلز لتجد فيها السخريه.

وبعد أن وضع رايلز النخال على كتفي مارييتا بالظريقة التي أوصيت أبقى يديه على ذراعيها وأخذ يديها بأبهامه في رقة. فلم تتحرك من مكانها. قصد هارفورد المائنة وشعرت مارييتا أن السر الذي شغلها به رايلز وأن نضول نظرها الى هارفورد في شيء من الشعور بالذنب ولكن لماذا؟ إنها لم ترتكب ذنباً فكل ما فعلته أنها قبلت هدبة ابنة.

وبدا هارفورد شاعياً وشفتاه اللتان ظهرتا فوق حبيته مزومتان. ودفعتهما

الشفقة كي تدعها اليه وتسر له كل شيء»

وعندما فرغوا من الغسل نال هارفورد مارييتا وهو ينظر الى صندبا.
يجب أن تغري ملايك وأن تتعلم هذا سبيكاً للمشي. وترتدي ملابس تناسق شروف المخزن»

وأضاف ابنة قائلاً وهو يتسم:

«وتدعني على رأسك شالاً حتى تعيدي الحفاش عن الوصول الى شعرك»
ثم ضحكته عالياً عندما رأى نظرة الحرف التي بدت على وجهها.
فرد عليه والده بشدة:

«كف عن إغاضتها يا رايلز. فأنت تعرف جيداً أن هذا ليس صحيحاً»
فهر رايلز كغثيه وتركها.

بدلت مارييتا ملابسها، وارتدت سترة زرقاء سميكة. وبطلونا من القماش الجينز وسترة بيضاء بربطة عالية. وسارت مع هارفورد مختزقة الحفول بخطوات حذرة لعدم استقامة الأرض وطرأتها قبل يذو الخيوط.
وقبعة قال البروفيسور:

«أناصتي الى هذا الصوت الخشن»

«نسبت مارييتا أصوات الطيور وخفان أجهتها حولها. ثم خفت هذه الأصوات عندما ذهبت الطيور في طريقها نحو الشراي.
وأخبرها هارفورد بأسانها. وقال:
«انها كانت تعرف باسم ظهور الشيطان والسبب هو ذلك الصوت والضجيج الذي يحدثه في ليالي الضيف»

وبدا المخزن قديماً بنيت جدرانها من الصخر والطين. والمداخل لا باب له. والنوافذ عبارة عن فتحات مستطيلة. وسقفه منحدر مصنوع من القرميد ووقع البروفيسور عينيته عند ساحة زققة الطيور فوق رأسه وأشار بيده الى الطير وهو يسميه لها. وقال وهو يتسم لماوينا:

«انه يبنى عشه من الطين تحت زوايا إقرير المنازل والمخازن»
ثم أرفقه بقول:

هذه الظهور تعالى من الكثرة كلها تصد بها الموسم فمرة أذكرني أن أحد ثلاثة
منها منكسمة في شئ واحد وهذا الليل إلى التكنس تشترك فيه الطيور مع
فصلت الأسان.

وظفرت ماريثا إلى المخزن فوجدت أنه يتطلب منها الشجاعة كي تدخل
هذا المكان اتصم المجهول لديها ولما انقرا من المدخل قصر هارفورد على
ذراعها، وأجبرها على الولوف.

وكانت الشمس في طريقها إلى المغرب عندما رأيت فوق رأسها شيئاً مثل
النسج الأبيض. يرفرف بجانبه ويبحث عن الطعام وكان لون الرشي في ظهره
مسطحاً بلطفه. أما ريش وجهه وبنته فكان أبيض ناصعاً. ولم يهجم بل بقي
في الجوف ثم اقتضى على لمسه. ولم تعرف ماريثا على نوع فريسته السينة
الحظ لأن الظلام كان قد ساد المنطقة. ثم ارتفع الطير في الجو ثانية حاصلاً
فريسته بين الظلمة. فلهسى هارفورد.

هذه هي بومة المخازن.

ثم قال:

جداً.

ولمادها في الطريق إلى الشئ وهو يقول:

ملا شحاف من شيء.

ويضع يده ليرى على ظهرها يرت عليه كي يثبتها صبعه في مكرمة على
ذلك ترى هل تقابل خفاش كذا أكد لها رايانا ولكنها لم تجرؤ على الانصاح
بجانبها إلى هارفورد إذ سوف يطرده هذه الخراف عن خلفها برفق ولكن
بحرص وبصبره يخاف الطفل. ثم الحنت ماريثا خوفاً وهي تنظر إلى الأفراج
الخشبية التي توجد بالسقف.

ليل هارفورد وهو يتسم لها.

سوف تعود البومة لتوها. وإلى أن تعود، علينا أن نتظر. اجلسي بجانبني يا
ماريثا إن الصبر مغرب فيه في هذه الحالة والمزيد من الصبر. والى الأخط
أنك ثقلة وذلك لصغر مثلك. فهل تظنين أن لديك الصبر الكافي؟

كانت ماريثا متأكدة أن ليس لديها الصبر الكافي ولكنها لم تجرؤ أن تخبر
بذلك فأومأت بالموافقة. قسر ذلك وحفظ على بعدها شاكراً. ثم بعد ذلك وجه كل
الاهتمام إلى الكاميرا استعداداً للتصوير.

ولم يبق بعد ذلك شيء سوى الانتظار في سكوت تام، وكانت هذه هي تعليقات
هارفورد. فقد قال لها إن أية حركة تسبب في إخافة البومة فتظهر هاربة.

وسمعا صوت رفرقة أجتعة في المدخل ثم حجب ضوء القمر لبرهة، ودخلت
البومة بتون صوت بجانبها العريضين وحطت على أعمدة السقف الخشبية.
وكانت البومة ظاهرة في ضوء القمر، بلون صدرها الأبيض. وبرقت عينها
لمحيت ماريثا أنفاسها.

كان هارفورد يلا شك مشرباً في فن تصوير الطيور. وكان هذا واضعاً من
طريقة تصويره بسرعة وسكون ولم تصغر الكاميرا. وهي بصورة أقل صوت
تمكن وتوجت البومة فلم تتحرك ولكن أفلتها صوت آخر غير صوت الكاميرا
يبدو أنه كان أتيا من جهة الباب.

لمحت البومة طائرة وهي تطلق صوتاً طويلاً يشبه المويل، وأخذت تفر
حول المخزن بجانبين مسوطين وهي تهبط وتعلو وتقوم لبرهة فوق رأسها.

شعرت ماريثا بتوتر لا يحتمل في أعصابها جعلها تطلق صبيحة قيل نحو
هارفورد. فلما أنها أن البومة سوف تنقض عليها وتعتبرها فريسة
لها. فأحاطها هارفورد بغرابه وهو يحنو عليها بينما قوت البومة من المدخل
واختفت أخيراً في ظلام الليل.

قالت ماريثا:

•

عاني أعتقد أنني ست
ولم تتمكن من إكمال كلامها لأنها شعرت بالغثافة ثانية وهو خوف أعظم من
الخوف الذي سببه لها صوت البومة في طريقها. ماذا يقول لها هارفورد؟ لماذا
يهمس؟ وقد ترك قفله جانباً وأخذ يجلس وحدها وليس شعرها وبداة تساقطها
اليه.

فقاومت ماريثا ولم تفهم قصده وسعته يقول:

فيا عزائي... يا فتاتي العزيزة »

وشعرت به متحسرة رجعها في الظلام كرجل كفيف ويقول
«عسى أنك قد انقطعت طويلاً طويلاً... وبدا الوقت لا نهاية له فقد قلت
أنك لست ذاتي »

ثم اكتشفت أسامحة في نفسها فقال:

«عيني أقل شفتيك... انها... انها...»

ولم تسمح باقي كلامه... فقد عانقها.

وتم عز أن تغفل شيئاً ثم شعرت في حرارة نفسها بالعطف على هذا الرجل إذ
بدأت الآن تكتشف مدى حثالة واحتياجاته العاطفية.

وبدا هارلورد يرتجف، ولوحف صوته كذلك قليلاً وهو يقول ظناً:

«لنني أحترم غفلك وأكديها»

ركان كلامه غير مطهر، وبدا متقرباً ولكنه قال:

«إن إخلاصي يعادل غفلك»

فبدأت ماريتا ترتجف خوفاً عليه وخوفاً عليها لما قد يحدث لها معه. ولا بد
أن خوف ماريتا ظهر له بوضوح إذ وعظه «سميره» وأرجعه إلى الواقع من الدنيا
التي كان حاليها فيها ترون صورتها طسعبة منتعاً في

«لا داعي للخوف مني. فلن أحاول أن أجرك من غفلك. ولن أفعل شيئاً يضرك.
كيف أفعل ذلك. وأنا...»

ثم مسح وجهه بيده وهو مضطرب وحائر.

وشعرت بسرور لأنها لم تصد، فقد كان قلبها يجيش بالحنان والشفقة عليه.
وفجأة سطع نور بطارية فيده الظلام ووقع ضوء بقصوة على الشخصيتين
المتعاطيتين

تعلق نظرها بالنور ثم رقت وسقط مثل القراصة المجردة أمام الضوء الخارق
لا بد أن الضام هو الذي سبب القصوت الذي دفع الزوجة إلى القروب. ولا بد أن
الزاد كذلك شاهد كل ما حدث من قبلات وهسات وقياوب!!

ثم سمعا صوت نفسه العاصب العتيق ورأيا طولاً واتساع كتفيه معكوسين

في متعة ألياب فخرها من يكون الضام.

عسى هارلورد يقول وهو يسبح عوده
«ولدي... ولدي...»

ثم تسلط نور البطارية على ماريتا وهي على الوفا تنظرها عاصبة نفسها.
وأعبراً استقى النور وبدا الظلام ثانية. وحمله قدماء خارج المبنى

شم.

ومر اليوم التالي، وشعرت بخوف من أحاديث مقابلة رايان، ولكن ماريتا لم تره ثانية إلى أن حان وقت العشاء في تلك الليلة.

اتسم رايان وكأنه يجد في تفحصه لماريتا شيئاً مضحكاً، ولكن وراء ابتسامته برز كائنٌ

لهول لم يشه المنظر الذي رآه في المخزن عندما شاهد والده يأخذها بين ذراعيه. وإذا كان لم يشه ماريتا لم تغفر له تدنكه في تلك اللحظات من الحزن والكلمات التي تنطوي على أعنف درجات الاختلاس من رجل في أشد الحاجة إليها.

وبعدما شعصته أخذ يدور ينظر إلى بلورتها البنفسجية اللون، يدور أكيام وانتصرة المتفوسفة بالزهور البنفسجية، ونظر بجرأة إلى وجهها وعينها الحاترتين وحاجبيها المقوسين وشفتيها...

ثم قالت له وهي غاضبة غصياً أدهشها.
«أعرف ما تفكر فيه، ولكنك غلط».

رفع حاجبيه وقال:

«عندما أنظر إلى امرأة جذابة لا أهتم بالتفكير فيها بل بالاحساس بها».

ثم قصد خزانة المشروبات وأخرج كأسين وملأهما بالمشروب، وكانت على وشك رفض المشروب عندما تدخل هارفورد الغرفة وقال:

«هل تقدم إل شيفتنا مشروباً يا رايان».

ثم أخذ الكأس من يده وقدمها إلى ماريتا. وبدأ الأب سعيداً وهو يقول:
«انتظري».

ثم صب لنفسه كأساً وعاد لينف بجوارها قائلاً:
«اشربي نخباً، إليك وإلى».

ورقع كأسه عالياً ثم التفت إلى رايان وقال له:
«انضم إلنا في النخب يا رايان».

وكانت كأس ابنه طارئة ولم يملأها ثانية وتركها على إحدى المناضد ثم وضع

٥ - ظهور في الحفل

وعند رجوعها غير الحفل أخذت يتعمشان في ضوء القمر هارفورد يعتبر لماريتا قائلاً:

«عشت سنوات كثيرة منذ أن انقطعت عن سبعة النساء. وفي الحقيقة كان ذلك منذ أن تزوجت زوجتي. ولم أكن ذكراها بل بقيت حاضرة في خاطري دائماً والآن وقد لم ألتد...»

ثم كثر عن الكلام وأخذ يتراعها وبعد بركة أنصاف:

«قولي لي يا ماريتا، هل تاتين إذا أظهرت لك عواطف من وقت لآخر إذا...»

نسبت هذه المذلة في أن تنهر جموعها لأنها صاعدة من رجل مرموق وبيل، وتذكرت ماريتا ما قاله أبته عنه من أنه ما زال يتمتع بحيوية زائدة. فإذا سمعت هارفورد أن يعاقبها ثانية وإذا قالت له إنها لا تاتع في ذلك فسوف تتغير علاقتها كلية، لا يمكن لرجل أن يستمر في عناق أية امرأة بدون أن يفرد ذلك إل... إلى ماذا الشعور بالتكامل أو الحب لا... فهي لا تحب هارفورد ولكنها تكن له الإعجاب والشفقة العميقة، فإذا قالت له لا... لا بد أن يسب ذلك له إذا بجانب المهانة.

هست تقول:

«لا أمانع في ذلك»

سمعت ينتهد بارتياح مما يدل على التخلص من الحيرة وانتعاش الأمل في

رايان يديه في جيبه ونظر إلى والده. وكان ذلك تحدياً منه لوالده الذي لم
يستم لهذا التحدي وأولاً ظهر.

وأثناء الغداء، جيل إليها أن الأب والأم اشتركا في الغداء يرى على أن يوجلا
خلالها طوال هذه السهرة.

وبما أن هارلورد يسمعه أن يحدث أي شخص عن حياة الطيور سره جداً
ماتت الموضوع مع انه واستمر الحديث على المائدة إلى أن تناول الجميع
التحدي وبعدها ذهب أن يكون ذلك اللطف الذي أبداه رايان حضياً وأن يكون
البرود الذي تقيته من قبل كاملاً وراء استباحته جزءاً من قلقها.

ولما غادروا المائدة جلد هارلورد إليها، وأخذ يدها في يده وحفظ عليها
وقال

«يجب أن أذهب إلى عملي قبل أن يختفي ضوء النهار وسوف أعود عندما تغرب
الشمس. وأنت أن أجدك منتظرة عودتي وأعدك ألا أنبلب عاتقك هناك منذ
طويلاً»

واستمر رايان يبتسم حتى ذهاب والده. ولما نظرت إليه شعرت بقليلها
يصرخ في دلالة. وتساءلت إذا كان قد شفق بها أو إذا كان ذلك الأسلوب
الساخر الذي يفعله معها منذ وصولها إلى منزله انتهى إلى الأبد قلت ذلك من
كل قلبها. وقتت كذلك أن يقلبها هذا الرجل كعصيدة.

قال لها رايان وهو واقف معها في البهو
«سأذهب إلى غرفتي العلوية»

ولم تنظر ماريثا على إغفاء عيونها. فهل يتركها يفردها؟ ولكنه علم بقول
وهو يردب وجهها:

«هل تعلمين إلّا يمكنك مراقبة الأبقار بيناً أقوم بعملي».

لم تخلف دعوتها هذه المفاجئة وسأله.

«ألا شائع لي وجود شخص آخر معك؟ وهل أقصد تركيزك على عملك؟»
طرفت عيناه ثم قال:

«لن نلتقي تركيزي على عملي، فوجودك كوجود أي امرأة أخرى معي...»

وبما كأن اللطف الذي شعرت به ماريثا قد انقش قليلاً ليكتشف عن
سحريته المعهودة. ولكن سرعان ما بدا لطيفاً ثانية لذا انهم استماعة عريضة
جعلت قلبها يلفق، وتأكدت أنها كانت تتخيل أنه يسخر منها.

وكانا والذين أمام المائدة حيث تلتق بين الألواح الخشبية التي تكبر الحائط
فترجح نفس الأصيل للشعر الأسرة الموجودة فوق المدخل الرئيسي للمنزل. وروسته
عليه أمواج البحر وطيور تحلق نحو الأفق ورأى رايان ماريثا تنظر إلى
الشعر قسماً قانلاً

«هل تفهمين اللاتينية؟»

هزت رأسها بالنفي لقال لها في شيء من الأيهام.

«سأقوم بالترجمة، ففي هذه الأيام سيكون المعنى مناسباً. وهذه هي الترجمة:
وراء الأفق تكمن الأحلام ووراء الأحلام توجد الحقيقة. وهذا معناه في لغة القرن
العشر من أنك قد تعلمين من الحقيقة. كما يمكنك ذلك، ولكن لا أريد أن أتعب
من مواجهتها معها كانت مرارته».

«ثم أتركك جيدة إلى السلم وقال لها
«البيبي»

وتركها في مكتبته برهة ولما عاد إليها وجدته قد غير ملبسه وارتدى بنطلوناً من
الجلود الأزرق وقبضاً صنوج الرنيد، وخلق عن كتفيه الجرد الرسمي مع ملبسه.
فعلما يكون بملبسه الكاملة تصبح شخصيته قربة طافية ولكنها محصورة في
بحال معروف. أما في ملبسه العادية فليس هناك حدود معروفة لانتطالقه إذ
يعلم المواجه التي تمرره.

ولمؤقت ماريثا في غرفته وهي تعجب كيف سمح لها بدخولها والاقتراب من
أجهزته وسعدانه. فنظرت إلى الحائط الخيولجية المتعددة الألوان والتي تغطي
جدران الغرفة. وبجانب الميكروسكوب وجدت العدسات البليوية والزجاجات
التي كتب عليها ماء النار، ومئات من عيئات الصخور مرصوفة على الرفوف
والأراج الزجاج الضيقة للعينات التي تفحص بالميكروسكوب.

ثم تناولت قطعة من الصخور ففجيت لألوانها. ولجأة سمعت صوته يكلها

فلوحت ولم تشع به وهو يرأبها.
وهذه الصخرة من اسكتلندا.

ثم تلثم ورفلت بجانبها وقد شتر كسبه فلأصت قراعه العارية ذراعها.
لهل كان يفعل ذلك عن عمد؟ ولكنها لجأه.

ثم أقار إلى قطعة الصخر وقال وهو يشير إلى أترابها:

إن هذه الخطوط المنسوجة من الأسود والأبيض والتي تكونت من الحرارة العالية
والضغط وهي عوامل أثرت على الصخور وذلك بشفطها حتى غيرت بعض
المعادن التي تحتويها وحولتها إلى خطوط متوازية.

ثم ابتسم لها وبرت غيثاً وهو يسأها.

عمل أضيائك بذكر العلوم! إن هذه القطعة من الصخر بالذات هي أديم قطعة
صخر في المملكة المتحدة بأسرها.

ثم يستعيد مكتبه وأخذ يقلب في رزمة من الورق وقال:

هذه بعض حبة صغيرة من ^{الزجاج} يتعامل الجيولوجي معها. وهذا الرجوع إلى
الماضي الصحيح لا يمكن للشخص العادي أن يفهمه.

ابتسمت له، ولكن أن فازحه وهو في هذه الحالة من التمرور فقلت له:

ولماذا لم تصنف تلك الكلمات الثلاث التي تثير فضي مساعدة العمل
الصغيرة.

فرفع رأسه ليرو ابتسامتها المتحدية، ولكن تلك الابتسامة ماتت على شفتيها
عندما شد تعبر مزاجه.

لكن الابتسامة التي ردت بها على ابتسامتها كانت عريضة ورافقة خفتت من
مخاوفها. وبنا للعجب، كانت عينا مختلفان تماماً عن ابتسامته.

فهزت رأسها تعجباً وهي تهسى لنفسها بألا تتعلق بالأوهام ووقفت قرب
النافذة تطل على الحدائق الواسعة المحيطة بالمنزل.

ورجعت مارينا إلى الواقع عندما سمعت صوته يقول:

«مارينا»

كان جالساً وراء مكتبه يهدو. فراحت تذكر ما لواته في أحد كتب هارفورد
حيث طالعت أن يومه المخزون لا تحدث أي صوت عندما تنفض على فريستها.

وقال لها رابن بصوت هائيه ولكنه يبطوي على لمحة امرأة لم تقو على
لجأها.

«تعال هنا يا مارينا، ستشاهدين شيئاً جميلاً».

ولفت بجانبه ونظر إليها فرأى ابتسامتها الرقيقة، ثم قال:

«هل يمكنك استعمال الميكروسكوب؟ وهل تعلمت ذلك في مجال عملك؟»

فهزت له رأسها بلاجواب، ثم أردف يقول:

«هذا ما فكرته لك من قبل، ميكروسكوب جيولوجي. وهذا الجزء منه يسمى
المسرح ويمكن لفة، سأدخل فيه عينة معدن من مجموعة تسمى «كلوريت»».

وأخذت تراقبه فرأت أصابعه المدربة وهي تحركها بهارة إلى أن وصلت إلى
مكانها ثم أكمل يقول:

«والآن أضفت الهندسة القسوية، فانتظري داخل الميكروسكوب».

ثم وجع خطرة إلى الورا لتتمكن من النظر في داخله، وأطلقت صيحة دهشة
وهي ترى التغيرات التي تطرأ على الألوان المختلفة، ثم قال لها:

«حركي الزجاجة».

فلما فعلت كما أمرها، رأت الألوان تتغير وتندخل. فالألوان الخضراء الجسيمة
تندرج وتذوب في الألوان البنية التي تجل إلى الأحمر.

ثم رقت نظرها، وكان وجهها سعيداً لما رأت وقالت:

«هذه خرافة لا يصدقها عقل».

ثم حست أنفاسها عندما رأت التعبير الذي انطبع على وجهه. وكان رافداً
قريباً جداً منها ويجعلها تنسقط عن مقعد الجارب فبدأ لضها يسرع بالانقار

والخوف.

أما وجهه فقد خلا من كل التعبيرات الحانية التي كانت تكسوه طوال هذه
الأمسية.

لم تجد به أي أثر للشجاعة ولا الانسجام وتغير تعبير لفة إلى مرارة واحترار. إذن
هذا ما كان كائناً وراء اعتدال مزاجه، ولم يكن مجرد أوهام.

ثم وضع يديه على كتفيها وأدراجاً إليه بشده، فاطلقت صيحة ولكنه لم يأنه

لما ثم قال:

«ملا فريدين» وما الذي تسعين إنهم هل هو مركز والذي أم حالة أم منزله إنه ليس الحب الذي يجعلك تسعين لرجل بكبرك بشانية وعشرين عاماً أن بطاركك الغرام في ظلام أحد المخازن»

«ماذا تقول»

وكانت تتكلم عامسة وقد شرب وجعها ثم أضافت:

«ماذا تعني؟ هل تظن أنني أحاول جعل والدك يقع في حببي ويتزوجني؟ لولا عليها يقول»

هو إذا كان الأمر غير ذلك فأتت تدعيني. إذن ما هو غرضك؟

هل هو الحب بدون ارتباطات؟ إذا كان الأمر كذلك فأنا الرجل الذي ترعدين. لأنني من صنف وفي إسكافي نلية طليانك فهل بعد والذي على ذلك» ثم من بدأ مثل حزام من الحديد وتلويق بها خصرها وقال:

«مراة لك»

ورقع يده الأخرى ووضعها على عنقها وأمال رأسها إلى الوراء حتى أطلقت صيحة ألم ثم رأى الصمغ تلاً عنها. ومثقت عيون. مثل الطائر انقشوس على فريسة الغزال حتى أنها. مثل فريسة الشمر الجوارح. أرقعت بدون حراك. وبعد ذلك أراحها جانباً بقسوة. وقصد النافذة وهو يصلح من ترتيب شعره ثم استدار وارتكز على حافة النافذة وقال لها بقطب:

«والآن أركبي والذي غلبه وإذا لم تكفي عن الجري وراءه فسأفنتك ترواً ورا. درس إلى أن أجعلك تفسعين إلى عضوها كاملاً وعندما يحين الوقت كي يسطرك زوجة له. سيكتشف أنه جاء متأخراً لأنك أصبحت له» ثم تركها وتغير المكان.

أخذت ماريتا تروح وهي في غرفتها حائرة. فوجدتها كضيفة في هذا المنزل لم يعد مكاناً في هذه الليلة وهم يشربون شراب التوكولاتة سوف غير هارفورده. بكل هيب. أن والدتها بحاجة إليها وعليها أن ترحل أسفة. وإذا كان رايلن حاضراً فسوف تواجهه بدون منها كلها ذلك من جهده

وعندما دخلت غرفة الاستقبال وجدت هارفورده وحيداً. تنظر إليها وقال لها

باريساج

«كنت أن تعصري قيل رايلن»

ثم أخرج صندوقاً مربع الشكل. وقال:

«جئت بعد الظهر واشتريت هذا بيتا كنت مع رايلن. ولم أذكر ذلك عند تناولنا العشاء لأنني أردت أن تكون وحيداً عندما أقدمها لك»

ثم لمس يدها في شيء يشبه القديس وقال:

«يا عزيزتي ماريتا. تقبل هذه الهدية فقد اشتريتها لك»

تلقف قلبها. هذه هدية أخرى؟ ماذا تفعل؟ ماذا يكون رد فعل رايلن إذا

قبلت هذه الهدية؟ إنها خائفة منه. فهبطت تقول:

«لكن يا هارفورده لا يمكنني ذلك»

قال بإهتمام:

«الكاميرا يا ماريتا. هي قطعة أساسية من الأجهزة العلمية التي يستعملها المهتم بتراسة الطيور وما أني لن أتمكن من إعرابنا الكاميرا الخاصة بي وأنا فسوف نحتاجون إلى هذه الكاميرا عندما تخرج سوباً. هربت رأسها وقالت:

«يا هارفورده - إنني -

إنني ماذا؟ إنني لن أتمكن من الوصول إلى مستواك في الخبرة وأعطاك التزامك بشك الناجبة» هل تقول إنها لن تضي هذا طويلاً كي تستعملها نعم هذا ما يمكن فوجدت:

«يجب أن أرجع إلى منزلي يا هارفورده. فوالدتي طلبت مني أن أعود» رفع يده وقال:

«ولا داعي أن تقلقي على والدتك... كنت أتوي أن أتذك أتمت تناول العشاء. ولكنني كنت متعباً بعد يومه أيضاً. ولذلك نسيت إذ عندما رجعت من البيت بعد الظهر نكلمت والدتك تلفونياً فقلت لها إنك في الخارج. ولكنني تفرقت معها لمدة وطلبت مني إبلاغك أنه يمكنك البقاء طويلاً في يدك ذلك. وفي الحقيقة وجهت

إليها دعوة مفتوحة لزيارتك لوعدت أن تحاول الحصول على إجازة من عملها
ومرورها.

ثم عسى قليلاً وهو يقول:

مرلا أرى أي داع ألا نقبل الكاميرون يا ماريتا.

وأرجو ألا تحسني تآكراً للجميل يا هارفورد ولكني لا...

وهنا دخلت السيدة هيسك حاملة صينية فيها أقدمج الشوكولاته وما
شكرها هارفورد قالت إنها حزين على مكتبتها إضائع الدكتور رايان ترك
مكتبه والنزول أم طلب منها إحصاء الشروب إليه فودت ماريتا صارغة أن
يتفضل البقاء في مكتبه.

مسلماً يا عزيزتي.

قال هارفورد ذلك بركة وهو يشعر إليها أن يجلس بجانبها.

حدثت بالبطريرك والكاهن لا يتكلم إلا في تلقى صلاته من غير أن
تكتفي كفت عن الكلام وكانت تبه أن تقول من غير أن أعطيك شيئاً مقابل
ذلك. ولكن كلمات رايان كانت تترن في أذنيها فقللت بلهجة ضعيفة
هلون أن أعطيك شيئاً يوازها.

فصمت هارفورد وقال:

لا تفكري حتى في ذلك. لست رجلاً فقيراً. وسوء أخرك ذات يوم المزيد عن
حياتي. ولكن لم تكن الوقت بعد.
ثم قال وكأنه يطلب نفسه:

لم تكن الوقت بعد.

وبدا كأنه انتقل إلى عالم خاص به. فسميت ماريتا الشوكولاتة وظل
شراب رايان على التصبية.

وبعد بركة لشع الباب ووقع نظره القادم على ماريتا فرأى فزاع هارفورد
تندبا على الوصافة وراء ظهرها. ورأى الكاهن.

تصلبت منها لما وقع نظره على ماركة الكاهن وأمر منها فذل وهو يسكنف
المرح:

«اليوم عيد ميلادك»

وكان يعرف الجواب قبل أن يلقى السؤال. فودت ماريتا تقول وهي تظفر
إلى القديسة وتطعم أسامعها عليها.
«لا»

ورد والده يقول وهو يبتسم:

وأعطيتها الكاهن. فسوف تحتاج إليها لتساعدك في تنمية اهتمامها برياضة
الطيور.

«وعلى سيقانها»

ألقى رايان على ماريتا هذا السؤال. ولم تجدج بالهوى الذي لسته في
خضته والذي خيل إليها أنه سؤال بري. فقد استلشت من ورائه أنه مزوج
بالشهيد.

ثم رفعت رأسها بكرباء وقالت:

«ولم لا أقبلها»

«ومل تعرفين كم كلفت والذي من ثمن: فهي واحدة من بين أغل الأسماء
الموجودة في السيرة».

صلاً الدم وجهها فقد كانت ماريتا تجهل هذه الحقيقة. وارتفع صوت والده
يقول والغضب يملكه:

«هذا شأني يا رايان... ولا يهم كم أنفق عليها».

ثم جذب ماريتا إليه ووضع ليله على خدها وقال:

«فإذا أردت أن أعطيها نصف ثروتي...»

أخذ رايان وشقة من الشوكولاتة الباردة. ثم وضع الفرج على الصلبة بقوة
وقال:

«أرجو أن تصيحوا لي بالنعاب».

ثم ترك المكان وخرج.

وفي صباح اليوم التالي أخبرتها السيدة هيسك أن الدكتور رايان تيموثي
غادر المنزل وسافر. ولا تعرف وجهه فقالت:

يرجى إلى لندن يا أنيسة ثيريل. أحياناً يلعب بهذه الطريقة ولكنه يقول لي عن وجهته. أما هذه المرة فلم يخبرني بكلمة واحدة ويبدو أنه ذهب الليلة الماضية لأن سريره لم يستعمل.

لم تظهر ماريتا اهتماماً كبيراً بالأمر ونظرت إلى مكان هارفورد على المائدة فوجدته خالياً، فعدت أنه لم يتناول إفطاره بعد، ثم قالت: «سأنتظر البروفسور توفور يا سيدة - فيسك»

فانصبت السيدة فيسك، وفكرت ماريتا في غضب رايان من تصرف والده، فاهتمامه يرجع إلى نوع من الحب الأبوي. ولكن هل كان تصرفه في ظلام الخزن بناء على عاطفة أريفة؟ وكلها الحب التي حس بها والمناقاة؟ ثم دخل هارفورد وقال:

«إنك تبدين متعشة ولطيفة كعادتك دائماً».

وأشار إليها بأن تأخذ مكانها على المائدة ثم قال:

«لا أرى مكاناً لرايان، لعل تتولى إلفطارد»

إننا نعتى والده لا يعرف بذهابه.

وتقول السيدة فيسك إنه سافر.

تقبل هارفورد الخبر بجزء من رأسه وقال:

يرجى ذهب إلى لندن حيث يوجد المكتب الأوروبي الرئيسي لشركة الثيرول التي يعمل فيها.

ثم نظر إلى ساعته وقال:

ولا بد أنه ذهب مبكراً.

والسيدة فيسك نظرت أنه سافر بالبركة لسريره لم يمس.

رفع هارفورد حاجبيه دهشة ثم هز كتفيه وقال:

هذه هي طريقة فهم لا يحافظ على شعور الغير، إذا طرأت له فكرة ينفذها في لمح البصر، ولكن لن نضيق وقتنا في التحدث عن ولدي لأنني ذاهب إلى المخبأ ثانية. فهل تأتيت معي؟

وليس علي إلا أن أوافق.

هذا ما فكرت فيه ماريتا. وكيف ألقى وقتي؟ أليس هذا ما بحث له - أن أتعلم كل شيء عن هواية هارفورد المفضلة...

ولما جلسا معاً في المخبأ كانت ماريتا تنظر إلى الجهة التي يوجه هارفورد نظرها إليها. وتحدث كلها فقلب منها ذلك. وتلم بكل المعلومات التي يلقبها عليها ثم لتساها لفرحاً. وكانت أفكارها تعودها إلى التسرع بالبحر الغابة والزهور على ألا تكون. كما تحدثت في أحلام اليقظة، وحيمة فلا بد أن يتي بها فيها شخص ملوّل القامة يسك بيدها ويتحسس أصابعها ويضحك في عينيها.

وأناقت على هارفورد يصيح:

«إنه الطير الذي أنتظره إنسي أعيوز شمامه وهو صوت مشير انظري يا ماريتا انظري هناك»

ثم رفع غطاء الباب قليلاً وقال:

«استعجلي مشطارك... هل يمكنك رؤيته الآن؟»

وحاولت ماريتا أن تراه بالنظارة. ولا حظ هارفورد محاولتها اليائسة فقال لها ليصاعدها

«إن شهره بنى اللون بخطوط قاتمة. وهو صغير الحجم لكنه تميز ظن قسطنطين».

ولكن ماريتا لم تتمكن من رؤية الطير، فشدجها هارفورد قائلاً:

«انظري ثانية. ولا تأبسي بهذه السرعة».

ولكن كيف تقول له إنها خاطئة أن تنظر ثانية حتى لا ترى ابنه يظهر مرة

أخرى في عتمة للنظار وهو قريب منها بحججه المكبر؟

قالت وهي تلاوم رغبته في إعادة الكرة للعثور على الطير:

«لا قائلة في تجاعي... فأنت نضج وقتك معي يا هارفورد».

وفكرت... إن كل ما تريد معرفته هو ذلك الخيال الذي رآته. وعادة تعني تلك

الرقبى؟ هل هي تريد بيمينه ثانية. وهل تريد أن تكون بين ذراعيه ثانية.

ولا بد أن هارفورد قرر ألا يضغط عليها بشدة. لأنه تركها بعد ذلك

لأفكارها وأخبرها. وما يتناول الغداء أن اجتمع هؤلاء الطيور سيتم بعد أربعة

أيام. وأهم سيناقشون في الموضوع ويتلقون ما بقي من وقت في الحديث.

وعندما كان هارفورد يحببها بعد انتهاء السهرة مال عليها وقبلها برفقة وهسي
قائلاً:

«ألا يفرض عليك هذا يا مارييتا؟»

نهزت له رأسها بالتقي لأنها لم تتأ أن تقصده. ليس في قبلة هارفورد ما
تعرض عليه. ثم فزع عقلها أربعاً وعشرين ساعة إلى الوراء، وأخذت تفكر بدون
إرادتها في ابنه.

ومرت ثلاثة أيام بدون أي خبر عن رايان. وشعرت مارييتا أن الوقت يمر
بطيء وكأنها تنتظر شيئاً، وكانت تقصد المخاض كل صباح بإصرار وتضي الساعات
كلها حتى وقت الغداء بجانب هارفورد، والسهوة في تكرير نفسها للقراءة كتب
هارفورد. ولكن لم تكن لديها القدرة على التركيز.

وفي الليلة الثالثة كانت ومعداً لفترة فألفت بالكتب جانباً وقصدت التافذة
لتنظر على الحديقة...

واشأزت مارييتا من نفسها، فاستعارت إلى الغرفة إذ يجب أن تكلم عن
تعذيب نفسها بالتفكير في رايان تيودور. ثم شعرت بالقلق وقصدت التليفون،
وكان هارفورد قد سمح لها باستعماله، عندما تريد. وسمعت صوت والدتها في
الجانب الآخر من الخط واضحاً مشرحاً فرجع من روجها المعتربة وأعطاها الشعور
بالراحة والعزاء.

سألته والدتها عن حالها وهل هي بخير وهل تمنع برقتها ثم قالت:

«تكلمت مع البروفيسور ووجدته لطيفاً جداً. وكان قلقاً عليك وأراد أن يعرفه إذا
كنت سعيدة هناك».

ثم قالت لها باهتمام:

«هل أنت سعيدة؟ وهل تريد أن أحضر للاقامة معك؟ فقد قال لي إنه يرجو
بني في أي وقت أشاء».

ثم فكرت مارييتا... ما معنى حضور والدتها للاقامة هنا إن حضورها سوف
يزيد الأمور تعقيداً. ثم أمرعت وقالت لوالدتها:

«لا تحضري لأجلي. وطبعاً إذا أردت ذلك...».

ولا بد أن والدتها لاحظت عدم تشجيعها فلم تناقشها في الموضوع أكثر ولكن
مارييتا قالت:

«إن رايان ابن هارفورد...».

ارتفع صوت جوزفين بالاهتمام وقالت:

«هارفورد، هل هذا هو اسم البروفيسور؟ وهل له ابن؟ ثم تقولي عنه شيئاً وما
عمره يا عزيزتي! وماذا يعمل؟ وما شكله؟».

ردت مارييتا على كل أسئلتها فهي تعرف ماذا تعني والدتها وماذا تأمل.
البروفيسور كبير في السن، أما ابنه - وفي حساب سزيع يمكنها تقدير سنه - فهو
مناسب لها. ثم قالت:

«يسعدني أن يكون بجانبك شخص يدارب سنك. لا تفتني على يا عزيزتي
مارييتا وأبني كما تريد».

وجاء أصدقاء هارفورد إلى المنزل. أخذوا ينظرون بدخشة إلى لعمامة البهيم.
وكان هارفورد قد أبقى مارييتا إلى جانبه. وكان يبدو أنه يعرفها ولم
يفهموا أنها صديقة خفية، ويضع يده على ذراعها وكأنه يودعهم أنها أصبحت
قرباً من العائلة وجزءاً من حياته.

لم يكن رايان هنا بل هو بعد عنهم بأعيال كثيرة. فهو في لندن وعلى
ذلك فإن الذي لا يراه لن يعرفه.

وأغراها ذلك الحاضر فجلست بجانب هارفورد وهي تشعر بالراحة
والاستئان.

وكانت هناك نظرات موجهة إليها من أصدقاء هارفورد... النساء ينظرن
بدخشة والرجال بملية وشي من الحسد.

وكان الحديث يدور بالطبع حول حياة الطيور وعن ملازمة متطفة نور
قولاك ثم اقتعد وجود أسرار الأجراب فيها. ومن لثيم وخونهم من الشرط التي
يؤثر على الأنهار والبحيرات في نور قولك. فلا بد من عمل شيء للحفاظ على
النبضة.

ثم فتح الباب، وليرى انطلق الاهتمام من الشخص الذي كان يحدث المجموعة

إلى القادم الذي بدا على غيبة الباب طويل الناعمة وتسمع النبي الخارج على يمينه
بحرف ينظر إلى المكان فوجدت عيناه على والده أولاً ثم على الفتاة المجالسة بجاريه
وسمع أحد الشيوخ يقول:
أهلاً رايان.

ثم رده التحية الحارة كثيرون غيره.

هز رايان رأسه عجباً، وأبسم لكنه لم يتحجب بل أخذ يجث عن مقعد
يجلس عليه. وبالصديقة نظرت المرأة المجالسة بجانب ماريشا إلى الساعة
الموضوعة على المدفأة وقالت:

«لا بد أن أذهب للفقير موعد في نور وبش». إلى أمرك اللعاب ليل تشد
الطعام. ولكن»

انغير الحائرون ضاحكين ثم أضافت:

«خط مكاني يا رايان. أجلس بجانب هذه الشابة اللطيفة صديقة والده».

شعرت ماريشا بقلق عند سماعها هذا الكلام. لكن عارفورد ارتاح لما
تنظرت إلى ابنه وأبسم ابتسامة خفيفة على شفاهه. لاحظت ماريشا هذه
الابتسامة وهي تلفتت إليه لتعجبها لما لاحظتها لم تكن ابتسامة ترحب بل
ابتسامة انتصار. وكان الأجدر به أن يرحب بابنه بعد هذه الغيبة الطويلة، لا أن
يستفز. ثم سمع والده يقول:

«نعم يا رايان. أجلس بجانب شابة اللطيفة».

نظر ابن البرفسور طويلاً إلى صديقة والده الشابة، ثم مشى متنهلاً نحوها
ولا بد أنه لاحظ حرار وجهها وحركاتها المتوترة. وهو يأخذ مكانه بجانبها وانداً
أحدهم بالكلام لكن ماريشا لم تمكن من سماع ما يقولون بل كانت حبيسة
في موقف حرج بين الأب والابن. ثم همس رايان لها خائلاً مستهراً ارتجاع
صوت أحد المتكلمين:

«لا تخالي يا حبيبتي. فلن أملك... الآن... سأبقى هذه المتعة إلى ما بعد».

وانتابها الغضب هذه اللهجة التي استعمل فيها كلمة التذليل. فقالت له

بشدة

ثم ضغطت يد عارفورد على يدها وبقيت فوقها. فهو الآن يتلقى بتفكيره
لها أمام كل أصدقائه. وهذه المرة كان ابنه بينهم.

وخلال المناقشات، التي كانت استحوذت على اهتمام ماريشا من قبل ثم
بذت الآن طويلاً وثقلاً. كانت ماريشا تشعر بوجود رايان بجانبها. فكل
حركة يقوم بها وكل كلمة يقولها كانت تسجل على جسدتها المتوتر.
لماذا وجع في تلك اللحظة؟ ولماذا تركت له الصديقة هذا المنعد بالذات؟

وشعرت ماريشا بالراحة عندما تقوت مشرقة المنزل على الباب ودخلت
لتضع عربة الطعام الجملة بالشطائر والقهوة. وبينما كان الشيوخ ياكلون
بشهوة، اشغل عارفورد بين أصدقائه ثم جلس في آخر الغرفة مع فريق منهم.
وبقيت ماريشا مع رايان. وكانت غير متأكدة من حالة مزاجه فنظرت إليه
ولكنه أبسم وقدم لها إحدى الشطائر بحركة استطفاف خالية من الود. ثم قال

«تبدون شابة ومبهمة. هل المتحدثي هذه الترجمة»

ولكنها لم تزد أن تهزم بلهجة هذه فردت تقول:

«وهل كنت غائبة؟ إني لم ألاحظ ذلك».

فأطلق ضحكة لفت انتباه أحد الشيوخ. وكان الرجل رمادي الشعر محقق
الوجه يصل قوله إلى كتف رايان فترك أصدقائه وقصدها ثم قال
«كيف حالك يا رايان؟ سمعت أنك عدت قريباً من الخارج. متى ستنتهي
مطربائك»

«من أميها إذا أعكشي ذلك يا سيد ويلمي ولدت لأكون جرواق».

«ألا تنوي الاستقرار»

«نظراً السيد ويلمي إلى ماريشا وأروف يقول:

«ألا توجد امرأة في حياتك تفيدك عناء»

فهز رأسه بشدة وهو ينظر إلى ماريشا بقسوة ويستهم.

«لن تمكن أي أنثى أن تفيدني إلى مثل هذا المصير. فإذا كان قدري أن أجرب
العالم من خلال عملي، لا أشكر من ذلك لأنني أفسد حريتي كما يفسد بعض

الرجال زوجاتهم».

فعلقت مارييتا على شفيتها... الخزية... فكم كرهت هذه الكلمة وطعنك

السيد ويلمر عالياً وقال:

«سيأتي اليوم يا رايمان ونجد نفسك راقعاً في فخ عيني جيلتين».

هو رايمان رأسه ثانية وقال:

«تقع بالمحب ثم ألقه جانباً واذهب. هذا هو دستور في الحياة».

وهضت مارييتا فتجان القهقهة بدون أن تكلمه فنظر إليها رايمان ورفع

جاذبيه ولكنها أدارت رأسها وتلاشت نظراته.

ثم سأل السيد ويلمر مارييتا

«هل رأيت معالم تورق تلك يا أنسة نيوبل».

ودت عليه مارييتا بالنفي، فلمستظرف

بل فيها فرى ترميز النظر فتأكد اهتمام وهي وثيقة الصلة بتاريخ الولايات

المتحدة القديمة - إذ هرب أحدهم وبشعر روبرت بك وكان من المشيعين

المضطهدين. إلى امريكا وأسس هناك مدينة هنتسبام في ولاية

ماساشوسيتس وأمر يدعى مسويل ليكون ذهب أيضاً إلى هناك وكان

الترئيس أبراهام لينكون سليله المتصور. وفي جنوب هذه المنطقة مدينة

شيستون حيث ولد توماس باين مؤلف كتاب حقوق الإنسان. وعلى

مقربة من هنا أيضاً تخرج غريجز غريف حيث عاش إسحاق ما قبل التاريخ

وكان يعمل في مناجم الأحجار المشقة. وفي ملجم منها متروحة. يجب أن تقوم

بواجبك يا رايمان. نحو أنسة نيوبل وزوجها معالم شرق انجلترا وخصوصاً

المناجم التي من اختصاصك. أليس كذلك».

فهز رايمان رأسه وقال:

«لست تلتصق في الخطأ الموهوب. فهذه حفرات وليست جيولوجيا وشرقي انجلترا

مدينة العهد نسيباً ولا تهم الجيولوجي كثيراً».

فضحك السيد ويلمر وقال:

«هكذا يتكلم الانسان المنازة».

والمنازة لا أظن ذلك الحفرات مثل الجيولوجيا موضوع هام يتطلب تاريخ

تطور الجنس البشري. ولكن الجيولوجيا لها مجال آخر».

وانقسم هارلورد إليهم. ورجع السيد ويلمر يصغر ويقول:

«تعتقد أن أحد فروع العلوم يتفوق على الأخر».

فنظر إلى أبيه وقال:

«قطعاً لا إن حب العلوم هو الشيء الوحيد الذي تشترك فيه أنا وأنت».

قال السيد ويلمر:

«القصة المعهودة يا هارلورد الآلين يشور على الأثبات الجليل الجديد يشور ضد

القيم التي عركها الكيما».

وقيل أن يتمكن هارلورد من الرد قال رايمان

«هذا صحيح إن قيم الأخلاق لا ولن تتوافق أبداً مع قيم العلم».

فرد هارلورد والغضب يلاً عينيه:

«ولا تتكلم عن الأخلاقيات يا ولدي. فذلك لا فلك منها شيئاً وإن فعله

ثم التفت إلى صديقه وقال:

«أنت يا هاري. انه صعب المراس دائماً. وقد أصبح في سن يصعب معها أن

يغير من عيونه».

وضع رايمان صوته الخالي وهز رأسه للسيد ويلمر وخرج من الغرفة.

فتنهت هارلورد وقال:

«من حسن الحظ أنه لا يبقى طويلاً هنا وإلا ستظل الحرب سجلاً بيتنا نعال يا

عزيزي زكريا بأصدقائي فاني أود أن أخاص بشاقي الطفلة كيا وصفتك

صيفي».

وتبعت مارييتا هارلورد. أملاً ذهب. ولكن أنكارها تابعت رايمان بعد

خروجه

٦ - الرجل الحسن

رأت ماريشا راين ذلك المساء عندما نزل إلى غرفة الاستقبال لتناول مشروب نهاية المساء، وبينما تحب كل من ماريشا وهارفورد الشوكولاته طلب راين القهوة.

وبينما كانت السيدة تقدمها له قالت:

«أعددت القهوة كما طلبتها يا دكتور تيدور، ولكن لن تستكن من النوم مع هذه القهوة الثقيلة».

فايستم لها راين ابتسامة خفيفة وقال:

«أنا بحاجة لشقاء مستيقظاً يا سيدة فيسك، فلتني عمل متأخر أود إنجاز».

تغيبت خمسة أيام وبالرغم من ذلك لم يلاحظ غيابي أحده.

«هل أنا لاحظت ذلك، تقديم الطعام الذي لا يتناسب شهية أبوك وشهية الآنسة

نيويل لا أعده عملاً سليماً، إنها بأكلان كميات ضئيلة وأنا أتساءل كيف

يظلان بصحة جيدة».

التفتي راين إلى الأمام بحركته التي وضعها على متبعدة متخفية.

ولما رجع نظره أخذت عيناه تطوفان بفاتن ماريشا التي بجانب والده، ثم قال:

«إن الآنسة نيويل، على الأقل، تبدو في قوام رشيق».

ولهم هارفورد مغزاه فصعد الدم إلى وجهه، وحب واقفاً وقال:

«تعال يا ماريشا لتأني».

تحدثت الابتسامة على وجه راين وقال:

«وهل تحرس ياينا لتبعد الشرب عنه يا أبي».

فبدأ وجه هارفورد الملتحي بعظام خديه العالية وعيشه الذكيين يميل إلى

التحول ثم قال: «وصوته ملغم بالألم».

«لن أزعك لتغرب من هذه الفتاة يا راين... لن نكسها، هل تسعني».

«كلامك جيد متأخراً».

وكان راين يتكلم بكسل، ويميل إلى الرواء في مقعده ونسك فتجان القهوة

بين كفيه ثم أكمل يقول:

«عرفتها من عشرة أو اثني عشر يوماً، وأنا كذا هو معروف عني أعمل بسرعة،

ليس كذلك».

وكانت عيناه جامدتين كالصليب.

فصغطت ذراع هارفورد، التي كانت تطوق كتفي ماريشا، عليها بقوة

وسألها

«هل هو... هل...».

لنظرت إلى وجه هارفورد، وتذكرت عناق راين ورون حسنة في محبتها

وتهدده بعاقبتها إذا لم تدع والده وشأنه وإجبارها على الخضوع اليأس. لم يميل

لها، بل فعل أكثر.

نظرت ماريشا إلى راين وراحت ابتسامته الجامدة تعجزها ألا تقوى

الحقيقة تكذبت عليه لثالثه.

«لا يا هارفورد، فهو لم يمشي».

فادعا هارفورد إلى الباب ورأت الارتياح يبدو في عيشه، لكن أبته لم يتنه

من كلامه، بل قال:

«واسطعها حتى غرفة النوم وليس إلى الفراش وتذكر أنك ولدت رجلاً مهذاً

وتستمتع بأخلاقيات العهد الماضي».

فالتفت هارفورد بسرعة وقال للمرة الثانية تلك الليلة:

«لا تعاصرنني عن الأخلاقيات يا راين، فستفك الأخلاقي وانتشارك إلى

المبادئ من حيث تصرفك مع النساء، فمعنى أشعر بالاستغزاز وإني أعجز قول

وج على الفتاة وشأنها.

فيكون هارפורد من احتياز القوة الفكرية المحيطة التي تفصلها ورفع مركزها الاجتماعي لئلا يكون لها دوراً لا تعرف سبباً لذلك لأنها متأكدة أن رجلاً ماسماً مثله لا يتكلم عن شعوره الداخلي أبداً - لا يمكن أن يشاركها بشيء - لكنها عرفت الآن - لأن ذراعيه ملوثا وعانقها كما يعانق الرجل امرأة تروق لرغباته. ولم تحاول التخلص منه ثم سمع صوت ابن البروفيسور يقول بلهجة باردة مثل عصا من الصلب البارد وهو يمر بها:

طرح المطر.

جذب هارפורد ماريئا اليه وأطبق عليها بحرارة.

استيقظت ماريئا مبكرة في الصباح التالي. وكان الذي أيقظها غداً طير أبيض في غنائه وهو واقف على شجرة قريبة من المنزل. طارت من ملاعبها بسرعة ولكنها لم تفلح إلا في التمسك على رصيف حديد قديم جداً من وسطها عالياً. ثم فتحت الأبواب وأزاحت الزجاج. وأصبحت طفيفة كالطير في ذلك الصباح الذهبي. وفتحت بلسة الهواء. وتغرعت بالحشاشات البيضاء بندي الصباح تعامد أصابع قصبها.

وانتفتحت غيما ماريئا إلى المنزل. وبحيث في النزاهة ولكنها لم تجد أي شخص يراقبها فخلعت حشداً وألقت به جانباً. وفتحت وليس الحشاشات الخضراء الناعمة المغطاة بالندى. تحت قدميها. وجعلت الكاميرا فوق كتفها وفقدت غيها هارפורد لكنها لم تدخله بل صممت أن تفعل ما كانت تمشاء وتفكر فيه وهي جالسة على مقعدها بجانب هارפורد. وذلك أن تذهب إلى القدير.

جلست ماريئا على البئر وشمرت سائتي البطلون ثم أتت لتدعيتها في الماء. وهي تجز على أسنانها لبرودة. وراحت تلجم بيها الشمس تدق. شهرها وتلمع في شعاع ينزل من بين الأغصان ومن خلال جذوع الأشجار المحيطة بها. وأخذت تفكر... إن البروفيسور لا يمكنه أن يفعل ما تفعله الآن. فهناك فترة طويلة شامية وعشرون عاماً بين عمرها.

وسمعت صوت أقدام فالنتنت بسرعة. هل هو هارפורد؟ لا بل ابنة وها أنها

كانت جالسة على الأرض تضاعف طولها وأحاله إلى عمود خائل من الرجولة.

وكان قميصه يخلو الأزرار يقطعي يديه اللتين أدخلها في جيبه بظلمته... كما كان مثقوباً يكشف عن صدره الذي كساه الشعر البني الغزير. ولاحظت عرقه ورجوله الجريئة. ورفعت نظرها نحوه. فكأن ما رأت حرك ونراً من الشفقة في داخلها. وراح هذا التوتر ينشئ وينتهي بشكل لا يحصل فهو لم يبق النوم تلك الليلة.

وسأله:

«ماذا بك؟ هل أنت خائفة. لن أفعل بك ما يخافه والذي فأرغمك على طاعتي وأغريتك»

ثم عز رأسه ورجع يقول:

«التمسني. فأني عندما أفقد هذا العمل البري. فسوف أؤكد أولاً أن يكون لدي المزيد من القوة عن الآن. فبعد أن قضيت الليل جالساً أمام مكنتي. لن أحتاج إلا إلى النوم. وليس العلاقات القرمزية»

ولما اختار القوة صامتين وكان حكرتها ينحله غداً الطيور. ولكنها أرادت أن تنهي ذلك الصمت فقلت:

«إنه صباح جميل»

ولكنها لم تجد حمى للمحرفتها العادية. ثم ردة عليها وقال بدون حماسة:

«نعم»

«كيف عرفت أنني هنا»

«كنت أراقبك من النافذة»

«ألم تشكن من النوم»

«أنا لم أحاول ذلك»

«ولكن كيف تقضي النهار وأنت لم تتم الليل»

«فرغ كنفه وقال:

«أنا معتاد ذلك ويمكن للمرء أن يستغني عن أي شيء عند الضرورة»

ثم تمد على الأرض ووضع يديه تحت رأسه وقال:

«ويمكن للمرء التألم على الاستغناء عن أضيائه كثيرة»

ولم تشاكد ماريشا من معنى كلامه لكنه من نتيجة ذلك الوتر الحساس من الشفقة التي يمكن بداخلها، ولكنها عجت لشعورها بالشفقة نحو ذلك الرجل القاسي الأناني، فقالت له هامة:
«لنقصه والبنل»

ثم التفت إليها فرأت عينييه الرماديتين كسياه الشفة تنظران إليها برود وقال:
«السؤال في غير محله»

شعرت ماريشا بالخروج، وأرادت أن تصلح من خطأها فقالت:
«على الأقل إن لك أبا»

ترد عليها بلا حماسة يقول:
«وهل لي أب حقاً»

ثم صرّت فشرة صمت، فرفضت ماريشا ذقتها على ذراعيها وسبعته يقول:
«إنه فقد عقله لأجلك»

وبذلك ألقى إليها بالتحدي، ولكنها لم تتأ أن تقابله بمثله، إلا أنه عاد يقول:
بالجاح:

«ماذا تنوين عمله»

وبدلاً من أن ترد قالت:

«أنت مخطئ، إنه يعتبرني صديقة له، ورفيقة مسلية»

«وبذلك العناني اللبلة الماضية، هل يدل على أنه يتخذك رفيقة له»
ولم تعترف أنه على حق فقالت:

«لعل ذلك ليشرتك»

فرفع رأسه وقال:

«ليشبرني؟ هل تصدين ليشر غيرتي»

ثم أغلق عينييه وتفرست شفتاه في سخرية.

«إنك مفرورة بلسك فلماذا أهتم بشفة نصف متعلمة غريبة» هي مجرد مساعدة صغيرة في المعمل»

ثم حب واغلق وأمسكه برأسها سدين كمنحالب الطير الجارح ودفعها فوق رأسها. وقال:

«أيها الماكرة الشريرة... حاولت أولاً أن تفرى والدي. والآن تحولين اهتمامك إلى فأها متاريدين فكفري في ذلك.»

ارتجفت شفتها وانثفت الدموع من عينيها... كيف لا يلهيها فهيست تقول:

«أرجوك، إنك تؤلني.»

ولكنه تظاهر بأنه لم يسمعها وقال:

«متى تتوبين أن تتركني والدي وشأنه.»

وأخذ جسمها يشقلص ويحاول الالذات منه ثم قالت:

«إنك تفتلي». فالأمر عكس ما تظن.

وبقي ممسكاً بها لا يود أن يتركها ولكنه قال:

«ولكنك لا تلتعنين في اهتمامه بك.»

فهتفت تقول:

«ولماذا أمانع؟ إنه رجل طيب وعادل وأمين وشعوف بي.»

«وطبعاً هذه الصفات لا انصف بها.»

«نعم لا تنصف بها فأنت قاس لا تعقل وأنت.»

لم تكمل عبارتها لأن قلبه قد اسكتها.

وكانت تحارب الخطيرة التالية. فأرادت أن تنف ولكنها وضع فراغته على عنقها

فأبشاعا وألمة. ثم نظر إليها وإلى شعرها المنسل وعينيها اللوزيتين وإلى لبها

المكسرة. وبعثت عيناها الرماديتين بهيئة الرمادتين. ثم ضحك فجأة وأخذ مزاحه

يتغير. وقال لها:

«كفني عن المعارك معي أيها الشريرة. وارقدى هائمة بجاني.»

ثم مد ذراعه فحسها وجذبها بقوة وتنهض بالرياح وهو يذفن وجهه في شعرها

ويستشق عيونه فأنالاً

«متى زمن طويل لم أنتع فيه بالسفوي مع امرأته

شعرت بالاثارة. فارتأت أن تنفخص منه ولكنه أبقاها بسهولة فالتفت متوسلة
وأرسلت يا رايان هذا خطاً إذا لا يجـ

لرفع ذراعه ووضعها على وسطها وقال:

«اصبري. أريد أن أشعر بالسلام. هذا كل ما هناك»

وكان سهر الليل كله قد أجهده فنام لثمة. ولكن ذراعه التي طوقت مارييتا
لم تنجح فطلعت ممسكة بها. ولكن بركة. وأمسكت عن التنفس خوفاً من إغلائه.
وسمعت وقع أقدام القريب. وها أن أيتها كانت بجانب الأرض أسكنها سعادتها
بوضوح. وكانت الأقدام قاصدة مكانها. ففكت أنها أقدام هارفورد قاصداً
المخبر.

فجاءت حتى تخلصت من ذراع رايان ثم جلست وابتعدت قليلاً عن
جانبه.

ورفقت هارفورد ينظر إليها. ينظر أولاً إلى رلده النائم ثم إليها فحبست
أنفاسها وسمعت يقول:

«هل أنا أجلك هنا؟ فاقطارك تنتظرك»

وتساءلت عن مدى فهمه أو تأويله لما رأى. ففهمت أن تقول الحقيقة:

«استسلمت بكثرة يا هارفورد. ولم أقدم الخروج واستقبال النسيم في الصباح
الهاكر

يوم إيمان»

«وكان رايان يعمل طوال الليل. فلما رأيته لحن بي. وها أنه لم يغمض له
جفن فقد نام كما نرى»

«هز هارفورد رأسه وهذا كأنه اقتنع بما قالته. ثم سمع رايان يهيس وهو
يتكلم في نومه ويقول:

«أين نعت تلك الفتاة؟ تلك التي كانت بين ذراعي»

فقرعت مارييتا ونظرت إلى هارفورد وقالت:

«إنه يحلم يا هارفورد. ولا بد أنه يفكر في صديقته»

ثم حاول رايان التوقف وهو يقول:

«ها هي»

تسبقت مارييتا وقالت:

«واندك.. والدك هنا يا رايان»

فتركها رايان. ومسح وجهه بيده ثم ابتسم وهز رأسه في حيرة وقال:

«إنني أجزم بل أقسم أنك كنت رائدة بجانبى»

ثم ألقى واستبسط ثامناً ورجع يقول:

«إنني أقسم أنها أنت»

فولفت مارييتا مضطربة وقالت:

«يا رايان إنك تحلم بمصديقك»

ثم رقد ثانية وارتكز برأسه على ذراعه وقال:

«نعم. كنت أعلم ولكن بغير تورين»

واستمث ثانية وهو يستمتع بالاضطراب مارييتا.

ثم نظرت مارييتا إلى هارفورد وأرته الكاميرا وقالت له:

«أنت كمي أضرب الطيور يا هارفورد ولكن رايان وصل قبل أن أبدأ في

الصور»

فلما التور الذي اشترى هارفورد وقال:

«يا عزيزتي مارييتا.. لو كنت قد اخترت بفرضك المخطئ بك بكل سرور.. بعد

تناولك الانظار»

ثم قادها إلى المنزل وهو يعلو كنفها بغراعيه.

وقد ارتفع النرج تركها هارفورد أمام غرفة الطعام ونقل:

«تناولي إفطارك ثم تعالي إلى المخبة حيث تجدتي»

ووجدت نفسها وحيدة مع رايان في غرفة الطعام. فقال وصوته ملزم

بالصخرة:

«ها إلي. لقد تعصرت بمهارة. هل كنت صغي لتصور الطيور إنك فكرت

بسرعة خاطئة. وأنا اتحتي لك بالبرغم من أنك فتاة ذات تفكير مشدود ولست

متعلمة»

ولما استلذها حاولت الوصول إليه لتصفه ولكنه أسك برسخها وقفل وعينها
تبولان:

«إني أملك الدليل عندك وسوف أستعفه عندما يأتي الوقت المناسب»

ولما شعرت بالألم أفلتت من قبضته وقالت:

«قلت المصنف لأني كنت أتوي التصوير فعلاً. ولم أصرع هذه القصة. وما أن
تفكر في تصويري أن الكل له مثل هذا التفكير»

وبحركة اليه ضم عليها ولكنها تراجعت إلى الوراء في الوقت الذي فتح فيه
الباب ودخلت السيدة يسك حاملة حزمة عليها أطباق الاطعام فجلس
أمامها والسطح المتحركة والسكين ثم نظر إلى ملامحه وهو واقفاً وقال:

«معهذا لرحوب على المائدة وأنا نصف على ليل لمحدثين يطوي»

ولم تتمكن من أن تهدو هذه وتقلل أضرار القبيص لأنها لو فعلت لا بد أن
تقل راحة القبيص أولاً. فبوت له رأسها وأسست في الأكل
ولكنه قال لها وهو ينظر إلى كتفه:

«انظري إلى آثار المخالب هذه ودقني النظر فيها. لقد أصبت بها هذا الصباح من
إحداها عندما فقدت السيطرة على شعورها. ألا يحسن بك الاعتذار»

فانابها ألم لأنه أدهشها واعتذرت له. واستدارت ولكن بعد امتعت وجذبت
فراعتها وسعته يقول:

«إذا كشفت هذه الأكار لو الذي فإذا يظن بك هل يظن أن احداً منك؟ وأنت
بريئة؟ هل يؤد عنائك ثانية؟ فلا بد أن يدفعك إلى الوقوع معه في المشاكل إذا
اكتشف أنك تدفون مع إيه في مزاحك إلى حد الخدش والقتال»

«كيف تغير الحقيقة إلى توايك الحسية. وانت السيب»

ثم تركته وأخذت مكانها ثانية على المائدة وسعته يقول:

«إنك في قبضتي الآن فتدني في علاقتك الغرامية مع أبي...»

قيلعت ماريشا رفعا الفاحم. وجلست في مقعدها. أنه يستلذها الآن عمداً
وجلس في كرسيه وقال لها:

«أرجو أن تعلمي هذه الملابس لماذا تنتظرين من رجل البترول الجاف»

ثم نظر إلى بلورتها وقال:

«في أي حال إن ملاسي تشبه ملاسك. فإذا أسكتك الجلوس إلى مائدة الطعام
وأنت تكتشفين عن جسك فيسكتي أن أتعلم المثل»

ثم سكب لنفسه بعض القهوة ولم يقدم لها شيئاً منها. وبعد ذلك أخذ يقرأ
الجريدة ولم يتكلم ثانية إلى أن قامت ماريشا لشاغل القرفة وهنا قال:

«سوف أذهب إلى نورويتش بعد الظهر لأتي بالكافيرا التي أطلبها. هل
تودين القهواب معي»

«لا وشكراً فإن لدي أشياء عامة فأتجردها»

وكان ردها بارداً

«كيا تربدين»

ولم تفعل شيئاً معها كما أخبرته بل خرج هارفورد أبطاً ولم يظهر ماريشا
ولكنه أكد لها أنه راجع للعثاء واحتل رايان أثناء الصباح وقصرت ماريشا
أنه قد تناول طعام الغداء في مكتبه.

وفي خمس الساعات بعد الغداء مباشرة ضاقت السيدة يسك على رايان
وسعته ماريشا يقول: «تورين»

«ضالت نيرة بعد الظهر. وكان هارفورد قد أعطاه مزيداً من الكتب عن
حياة الطيور فأخذت تدرسها لمدة ولكنها ألقتها جانباً وتقصدت النافذة وذلك
عندما اكتشفت أنها لا يمكنها التركيز. ثم نظرت إلى الساعة وعرفت أنه الوقت
الذي ترجع فيه والدتها من عملها. وكان هارفورد قد أذن لها في استعمال
المنظور كلها أرادت ذلك. ففكرت أن تتصل بها لتفنيها. وسألها والدتها:

«هل تعرجين للزوجة. وهل تزورين الرضعة»

«إن هارفورد مهتم بمراقبة الطيور ولذا لا تخرج أبداً. وبقيت هتت إلى
نورويتش مرة وأصطحبني رايان»

«رايان؟ أنا سعيدة لأن معرفتك به زادت. وهل هو لطيف معك يا عزيزتي»

«لطيف معي»

«ليت والدتها تعلم. ثم قالت لأنها»

«إنني لا أراء كثيرًا»

ثم أردت تقول

«إنه يجمع العمل بالأجازة. وقد ذهب بعد ظهر اليوم ليقابل صديقته»

فردت جوزلين تقول وقد شعفت حسرتها واعتبرته خيبة الأمل:

«صديقيته؟ لمست»

وكانت ماريشا تعلم مدى تفكير والدتها. فلا بد أنها تفكر وتقول «كيف

يحق لأي إنسان أن يفضل امرأة أخرى على ابنتي»

ولكن كل ما قالته جوزلين هو

«حسنًا فلن نربدين أن أحضر للإقامة عندك يا عزيزتي»

إن فكرة زيارة والدتها أصبح أمرًا مرغوبًا الآن.

وأردت والدتها تقول:

«أنا مشغولة الآن ولكن ربما أحضر الأسبوع المقبل أو الذي بعده. وربما»

ثم أنهت ماريشا المكالمة. ثم سمعت صوت سيارة هارفورد فذهبت إلى

حديقة الاستقبال لتتلقاه. ولما دخلت الغرفة برقت عيناها وابتهت. ثم قال:

«عندي شيء لك»

ثم أخذت الرزمة الصغيرة منه وراح يراها وهي تفتحها وتقول:

«هبة أخرى ولكن يا هارفورد لماذا»

ولما فتحت الزجاجية وجدت زجاجة عطر شمينة وكان عطرًا مشهورًا غال الثمن.

قدمت عيناها وقالت وهي تحاول استعانة توازيها.

«أنا شديدة التأثر يا هارفورد كيف»

«طلبت الحبل عطر في المحل فأعطيني هذا المستند. فهل أعجبك»

«كيف لا يروق لي وأنا أقوى بقيته. ولكني لم أقر به. ولم أشد قبل ذلك كهو

عطر جميل رائع. وسوف أستعمله عندما أجد ملابسًا للشاء»

ثم هز رأسه إليها ورضيا ثم قال:

«أنا قد اشتريت لنفسك غداً من الملابس الجديدة فمرأي قد ملأت من عكس

صورة ذلك الأستاذ الجامعي غير المهتم»

ومضحكا معا. وقال:

«إنك لطيفة يا ماريشا. وأنت كل ما»

ثم كفت عن الكلام وقر رأسه وكأنه يعتف نفسه.

وكانت ماريشا ترتدي وقت العشاء ثوبا مفتوح الرية. وتطعمت بشال

رايان واستعملت عطر هارفورد. أما هارفورد فقد أيدل ملابسها أيضا.

ولدى دخوله شرفت دةشة فقد اختفى مظهر المرويسور المهل. وبدأ كأنه يسير

العصر ومع تغير ملامحه تغيرت كذلك تصرفاته فأصبح أقل تحفظًا. وأكثر

وعيا للأحداث التي تحيط به بدلا من جيس نفسه في عالم خاص به.

قالت له ماريشا وهي معجبة بشكله:

«إنك رائع»

«إنني سعيد بذلك»

ثم قالت وهي تشير إلى معصمها وعقها ونحت أذنيها:

«لقد استعملت عطر هارفورد ورائحته رائعة جدا»

ثم سمعا صوت سيارة أمام البيت.

فظهر هارفورد إليها. ولاحظت أنه شذب عيشته. ورفع يدها وقال:

«هل تسمعين لي»

ثم ألقى على عتفها وأخذ يستنشق عير العطر فأخذت ماريشا تقارن بين

رائحة وحناة وشمونة ابنه.

ثم فتح الباب. ولكن هارفورد لم يبال فقد تم رقيتها بخفة.

وشعرت ماريشا بالأعراج. ثم أخذ الابن ينظر إليها بينما كان الأب يمس

وقيتها. لشعرت بظفراته اللائحة.

لمست ماريشا قاتلة في اضطراب:

«هارفورد»

فاستقام هارفورد والتفت إلى ابنه.

فأشعفت عينا رايان دةشة ثم فاستالما رأى ملابس والده التي لا يصدقها

عقل.

ثم قال والده وهو يتعجب:

دخل نزل ماريتا الجديدة. أنفقت في سبيلها مالا كثيرا.
قوة عليه ابنه قائلا:

«أتى هذا المصدا لا تسمع الآن وقد عصت عنى سنوات من عندي. فاحتر
في حالك حتى نجسها نظي أنك أكثر منها شامي عشر عاما وبذلك في الثانية
والاربعين بدلاً من الثانية والخمسين
«إننى أفتقر شينائك لي بالرغم من التواضع»

فقال: ماريتا تطفح الجوى

«لقد أهتاني والحمد لله يا رايان. وهو رائع. ولم أحصل على مثله من قبل»
«إننى أشم رائحته. فهو يلوذ الجوى»

فدخلت السيدة فيسك الغرفة تعلن تقديم العشاء وكان الحديث أثناء
العشاء يدور بين ماريتا ومضيفها. ولم يشكلم رايان إلا بعد تقديم القهوة.
فقد قال لماريتا:

«أرجعت الكاميرا التي تسيت في كسرها. فقد أصلحت»
وتحسنى جيوية وأخرج منها ورقة ألباما نحو ماريتا وقال:
«هذه قانونة الإصلاح»

فعبس والده وقال:

«ولذا تعطينا إلى ماريتا»

«لأنها عندما كسرت الكاميرا قالت إنها سوف تدفع ثمن إصلاحها وأنا أطلبها
برصدا»

«ولكن لا يمكنك هذا العمل. فهي سيقتة. ولا بد أنه كان حادثاً عقوباً بالرغم
منها»

«نعم ولكنني حشرتها بأن الإصلاح يتكلف كثيرا فأصرت على ذلك. ولذلك
قدمت لها القانونة»

ولما أخذت ماريتا القانونة ثم خلف دعشتها للشئ المطلوب. ثم قال لها
رايان:

«لقد جننتك. فهل تقضي وعدك»

قبلاً وجهها الخجل وقالت بهانة:

«سوف أدفع طالما أعطيتنى الوقت لذلك»

فخطف هارفورد الورقة من يدها وقال:

«إنك لا تتظر منها أن تجد كل هذا المبلغ ولن أسمح لها بدفعه. بل سأقوم أنا
بدفعه وإنى مستمر من تصرفك لأنك سببت لها الأضرار»

ثم وقع شيكا وقال:

«استمر الأمر منها»

لأنه رايان الضيق ومزقه ثم اللها نحو ماريتا وخرج من الغرفة ولم
يعثر هارفورد لما بدا من ابنه

وبعد بركة سمعت ماريتا هارفورد يقول:

«إذا كان الجو معتدلاً قليلاً، سأذهب إلى بيركلاند وهي تحذنا من اجترابه. وهي
منطقة جرداء مفتوحة والباقي غابات زودت أشجارها من حدة قصيرة. وأريد أن
أفصدها لتسجيل أغانى الطيور فهي غنية بحياة الطيور منذ زمن طويل منيت
نفس بالذهاب اليها مع جهاز تسجيل. فهل تأتون معي لأريك المنطقة»

وشعرت ماريتا أنها لا بد أن تقسم هذه الفرصة لرؤية الريف، معها قال
في ذلك ابته. ولما قالت إنها موافقة سر لذلك وتتم وجنتها غايلاً.

«لا بد أن أقوم ببعض أعمالي ففى الشظاري وزمة رسائل للجامعة لا بد من الرد
عليها وسأرجع لتوي»

وتبعته ماريتا إلى البهو. ولما أوجد باب المكتب وراءه. نظرت إلى شعار
العائلة المعلق فوق المائدة وترجت الأسفل اللاتيني في ذهنها وتذكرت المعنى
الذي ينطوي عليه.

دخلت غرفة الجلوس. ولكن الغرفة لم تكن خالية بل وجدت رايان فيها.
وقف قائلاً:

«لا تهربي. إن أمرك كما مزقت الشيك ولو أنى أود ذلك. اجلسي»

وأشار إلى أحد المقاعد. ثم أخذ ينظر إليها.

«ياك تكسبون الكثير من حائلة تبهودون فانتظار والكاهن والاعظم من أي تم
هذا الشال الذي يطوفك متى»

خلعت الشال ولذنته به وسعته يقول:

«خط الشال لا يمد»

لكنها شعرت بالبرودة فودت أن تستعيده ثانية.

فجر أنه التفت الشال ووضع على أحد المفاصل وقال:

«لا قائمة منه لي الآن لأن أفككن من إعطاء حديقتي أمتياد مستعجلة»

رمت ماريشا شلتها وهي تحاول إخفاء غضبها. ثم قال لها:

«مازالت أسأل عن السبب الذي بكسر وراء دعوة والدي لك فهو لم يفرض عليك

ذلك في علاقات غرامية سرية. ولكن في هذه الأيام قد يبدأ الشخص في سن

متأخرة»

وحاولت ماريشا جاهدة أن تتلافى وفورعها في ترك الغضب.

وأردف يقول:

«أليس يعمل كل جهده ليمس أسفر من سنه وكل ذلك لأجل فتاة تدعى ماريشا

ليقول لهن باع نفسه للتسكين كما فعل فابوست لما أحب ماريشا

الجسدة. إذ الحمد لله شكلاً جديداً وذلك بترام ملاين جديدة ثم يتألف بها

كأحد طيور المحيرة وهو يستعرض ريشه لأغراء الأنثى»

ثم ولف أمانها وقال:

«وهل تعرفين أن في بعض أنواع الطيور يستعرض الذكر أمام الأنثى وينشئ

ريشه ويقره جناحيه»

هبت ماريشا واقفة وقالت:

«كف عن فستك علي والحدك فهو رجل طيب وغير أناني»

هذه لعبة منك سمعتها من قبل وأنت تقولين إنه لطيف. وحسن. وكرم. بل هو

أبله ويعيش في الأرقام وقد فقد عقله»

«هل أنت متحيز ضد لانتك تكرمه»

ولكنه صاحب بطول

«أليس لا أكره والدي»

ثم ردت عليه تقول:

«حسناً ولكنك متحيز ضد» لأن - لأن - أنت أكره السب ولكني ألاحظه في

مواقفك معه»

«صدقتي إنني أعرف والدي تماماً وأعرف ما أقول»

«ذلك أنتك قريب منه وأنا غريبة عنه فأنا كشخص متعزل مني»

«وهل هذا صحيح. لا أظن. وذلك لأنك في علك تعزين مجرد لا شيء. إذ فورث

بهارفور تبهودون الرجل الذي يتبوأ القمة ولا ينبغي كيف نسبح العاطفة

التي تشعرين بها نحوه في الحقيقة ليست إلا تقدير البطلولة»

تصاحت تقول:

«ياك تخفلي. إنك تخفي جداً»

«ياك أنت تخفني في حبه. في حد أي وهو يصلح أن يكون أباً لك. ونحن السبا

إنك محتاجة إلى أحد ليعيد لك عقلك»

وأمسك بذراعها ولكنها تزعت نفسها منه وقالت:

«هل تفكر في عرس لمر تطيه علي ذلك السرمي الذي هدنتي به إذا لم أزوج

والدك لسان. لن أعطيك هذه الفرصة. ولن أكسب مني لسان ماريشا»

ثم قال لها:

«لا تكوني رافقة من ذلك. يا فتاتي مع اني أبتعد هناك. فقد فقد حبيبي»

«ويكفني أن أشتك وأطع سمعتك ولي هذه الحجة سوف يستمر أي منذ ولن

يرغب فيك بعد ذلك»

«ياك كره ولا تحتمل»

ثم قال لها:

«أنت تعرفين أنني رجل يتحول خشن لينا إذا تتصرفين مني»

وبذلك تغلب عليها ففرت من الغرفة هاربة

وتركها هارفورد كي يبلغ رايان بالفكرة.
ولما فرغت من طعامها رجع هارفورد وهو يقول وقد بدأ عليه الاحراج:
«قيل رايان النعاب. لكن بفضل النعاب يفرقه. لكنه سوف يترك في الأمر
ويترك برأيه».

ثم تقدم هارفورد نحوها ووضع يده على شعرها وقال:
«أسف لتصرفه يا ماريثا».

وأخذ هارفورد خصلة من شعرها وراح يتأملها ويقول:
«إن لك سحراً يا عزيزتي. فيستك التأثير عليه كي يصبح معه.
ثم أدار وجهها إليه، وقال:

«يا فتاتي الجميلة. سأفعلك السوء. ولكنني سأخرج إليك في المساء لنناول أطراف
الحديث».

ودخل رايان ثم خرج هارفورد وانضم إلى ماريثا ووقع يده إليها
مرحلاً.

وانتظرت ماريثا أن تسمع صوتها من رايان ولكنه لم يفعل. بل أخذ
مكانه إلى المائدة ولم يشكلم إلا بعد أن ظهرت السيدة ليك حاملت الطعام
تشكرها بلطف. ولما ذهبت ساد الصمت ثانية.

وأصبح الموقف لا يحتمل. وأرادت ماريثا معرفة رأيه فقالت له:
«رايان».

نظر إليها بيرد ثم عاد بغراً الجريئة. فهل قصد أن يجعلها معلقة لا يعطيها
جواباً. وعادت تقول:

«رايان».

فرد وعيناه لا تفارقان الجريئة.

«نعم».

«أنت تعلم ما أردت أن أسألك عنه».

طوى الجريئة ووضعها جانباً وشبك يده على المائدة وقال وهو يشتم:
«لماذا لا أعلم، فالخبر بتر».

٧ - المواجهة المرة

رأى جريس التليفون بينا كانت ماريثا ترتدي ثيابها. ولما نزلت للانطلاق رأت
هارفورد جالساً في مقعده فقال لها:

«لسمو المظ. يا ماريثا جاءني مكالمة هامة من وكيل في الجامعة. ويبدو أن أحد
كبار رجال التعليم في الحكومة أعلن أنه سوف يزور الكلية اليوم وبما أنه من
كبار رجال الدولة لن يمكنني رفض طلبه».

ابتسمت وقالت وهي تداري خيبة أملها:

«لن أخرج معك اليوم لذا ريثاً في وقت آخر».

ونظر هارفورد إلى الساعة فرأى الساء حالية فقال:

«القرص مهياراً للتسجيل. ومن المؤسف أن تشرك هذا المشروع. فلماذا أقنعت
رايان أن يقوم بهذا التسجيل لأجل. هل تمنعين معه».

فخرج مع رايان؟ وبعد عراكها القوي ليلة أمس؟ ثم سألت هارفورد:

«معنى نجيب النعاب».

«أنتك في فترته على قضاء كل الصباح هناك. فإذا وافق على الفكرة أعلن أنه
يختار بعد الفقه».

«عزيت كتنها وقالت وهي تفكر إذا كان رايان ذاهباً إلى هناك فلم لا
تصحبه؟ على الأقل يمكنها رؤية الرقيب».

ثم قالت:

«سوف أذهب معه».

كان يستمتع بأمانتها ويحاول أن يجعلها تستعطفه كي يصحبها.
«هل أنت... هل نحن؟»

وانتظر أن تكمل كلامها. فداست على كرامتها وحاولت السؤال ثانية:
«هل أسحبك بعد الظهر في الذهاب إلى الريك؟»
«ولماذا تصحيتي؟»

قالت وقد نبح في أن يضعها في موضع الاحتاج:
«أريد الحزام القوي لأرى المنطقة قبل رحيلي».
«ولكن أمانتك الحياة بطولها لتعمل ذلك».

ونظر إليها فرأى الحيرة والبعث في عينيها. ثم قال:
«إذا كان الأمر فاسراً على رؤية الركب فلي (ممكن) أن أقوم بدور الليل ولكن
يجب الذهاب هذا الصباح. لاستعدي على الفور ولا تركنك وذهبت».
كان الجرداناً فارثت. مارينا بتطلوا خفيفاً وبلورة رقيقة وقصيرة، فلما
نظر إليها، دوت على نظراته بنظرة أقوى. ووضع رايان سلة الطعام في السيارة
ثم لفت حازناً.

«الذكر عادة في دنا الطيور يستعرض عفاسته وليس العكس». وفي كل حال
فالذكر الذي ترهبين في جانبه ليس موجوداً الآن. انه تشيعين وقتك في ارتداء هذا
الزى».

«لعلك إني لم أرتد زياً. فاحظ حار والامصح أني تعزيت».

«إنك تشعشعش. لهذا تعزيت أكثر من ذلك قد تثيرين رغبتي وعندك فحاجيت
التي من آل تيوتور بدلاً من واحد. ولا بد من اختيار واحد منها. فهل
تقتارين الأب الذي بالرغم من تقدمه في السن ما زال يمثلك الحيرة التي
لجعله يستعد أمة امرأة كما أن رأسه في السماء ومنزله في دنا التعليم عالية
ومزاجه هائلة. كرم لا يجد جمع المال. أما الابن فغيره لا جدال حوله.
ومزاجه توازي مزاجات والده ووظيفته ذات مسؤولية. ولكن هناك ناحية فيه
ذات خشونة ونسوة تجعل الفتاة البريئة الصغيرة تصعق من الخجل والاحراج».
ثم غير موضوع حديثه وأصبح جاداً. فسرده عليها تاريخ المنطقة التي

يسرون فيها وقال:

«هذا هو شرق أنغليا. يحدها البحر من الشمال والشرق والمستنقعات من الغرب.
أما من الجنوب لتحتها لحايات من أشجار البلوط. وبعد ذلك تركا الطريق
وانعطفنا إلى مساحة مسطحة من الأرض على حافة أرض بور. ولم يجدنا مخلوقاً آخر
هناك غيرهما. فقال رايان وهو يقاتر السيارة:

«هذه الجهة أقل المناطق سكاناً في البلاد كلها. واسمها بيركلاند. وقد رأى
الراشدون القدماء أنها صالحة للزراعة بسبب جفاف تربتها وجفاف مناخها».
ثم حمل رايان جهاز التسجيل للمعلق على كتفه وحمل سلة الطعام في يده
وسارا نحو الغابة صامتين. كان يهدو وكأنه يستاء لوجودها معه. وكانت تصرفاته
مؤذبة ولكنها باردة.

ولما وصلنا إلى قطعة خالية من الأشجار في الغاية. ألقى يسترته على الأرض
وقال:

«اجلسي عليها واتركي لي مكاناً بجانبك».

«كانت السترة سبع اثنين ولكن لما جلسنا تفرقت أكتافها فودت. مارينا أن
يكون مزاجه أكثر اعتدالاً. وكانت ذراعها تلمس ذراعها لتجعلها تشعر بالرخا لأن
هذا التماس يجعلها تحس بالتجاوب معه».

ثم راح يعد الجهاز للعمل. ورفع رأسه وقال وهو ينتصت:
«هذا هو الليل».

فاستعيت للصوت الرحيم وقالت:

«هل يغني الليل أثناء النهار»
«نعم كثيراً ما يغني أثناء النهار. ولن أسجل صوته فلا بد أن والدي قد فعل ذلك
من زمن مضى».

ثم استمع ثانية وقال:

«سأسجل صوت هذا الطائر أحياناً يغني وهو يحوم وغالياً عند طهرانه. ولولا
اشتغال بالسجيل كنت أشرت إليه حتى تعرفني عليه فهو أزر قد قيل إلى اللون
الرماني وهو لون الذكر أثناء الصيف».

«كيف أتدرك كل هذه المعرفة عن الطيور؟»

«إنني أهتم بها. فالتكثير من معرفة أي شيء انتقل إلى في لحظة منه».

«وإذا كانت هذه هواية متبادلة فلم لا تقرب بينكما بدلاً من الشاغل كل المرتبة؟»

«وكان هذا سؤالاً لاحقاً لما في طرحه لمتابعتها به الفلافل».

فرد بسرعة قائلاً:

«لا شأن لك بالطريقة التي أتعامل بها مع والذي. فأنت لست فرداً من الأميرة

بعد. وإذا كان الأمر يعني فلن يحدث ذلك».

وأشار إلى عصافير العرف الذهبي فجاءت ماربنا أن تراه ولكنها فشلت

فقال بتهكم:

«أرى أنه ليست لديك القدرة على مراقبة الطيور. وهذا عار حمة الأحلام التي بناها

والذي حركته».

«إنه لا يدري ذلك لأننا أنظر أمامه بالمعرفة».

لتضحك وقال:

«وهل تظنين يمكنك خداعه. إنه خبير. والخبراء دائماً يميزون الذين يقولون

الصديق».

لماً وجهها الخجل حين لمكرت في المزاة التي خدعت. عارفورد فيها.

ثم قالت:

«يمكنني أن أميز الاختراع المختلفة من الطيور في الصور. ولكنني أتعلم عند

رويتها في أمكنتها الطبيعية، فإنها تتحرك بسرعة فائقة وأجد صعوبة في العثور

عليها بالثقل».

فضحك عالياً ثم مر كفيفه استخفافاً وقال:

«هذه مشكلتك ولكني لا أعرف أي سحر يمكنني أن أساعدك به. وإذا جربت فلن

أبوح لك. فأنت تورطت مع أبي في هواية الطيور ولأي غرض؟ لا أدري. ولكن

يمكنني أن أضمن شيئاً».

«وهل يجب أن تكون قاسياً دائماً؟ لم لا تكون لطيفاً معي؟ إنه يوم جميل وهو بعد

إجازة لي».

وإذا كانت تظن أن هذه الكلمات الشاكية يمكنها أن تهوئ فهي واحدة للند

أمرها بالسكوت وأقار جهاز التسجيل.

نظرت حولها في حيرة فسادت عنها لفت نظره من الطيور أو سمع من غناء. ثم

رأت طيراً يغوص في الفضاء. ولف ويغور فترداً ذيله ويرشه بدم متقشر. فجزره

متفاره للظويل المستقيم الذي يحفر به للأرض.

وسألت رايان

«هل رأيت الطير؟»

فهدت له رأسها بالابتجاب وقالت:

«شكراً لك. سأذكره دائماً بمتفاره المميز».

«أفني سوف تبذلون بما أحضرتكم إلى محطمتكم. وما لا شك فيه أن أبي سوف

يكافئك بهدية أخرى».

ثم انفتحت إليها وقالت بتهكم:

«ربما كانت سيارة هذه المرة»

فأسأله قائلة:

«وإذا فعلت ذلك فحينئذ لن أفلح! هل تعانني كما صليتني من قبل وأعطيتني

درساً آخر إذا لم أدرج ذلك وشأنه؟»

أزاح جهاز التسجيل بكل حرص واستدار إليها فلوحت ذا وأت إلى عينيها من

صلاية وبرودة. ثم هس بقول:

«هل تتحدثين؟ وهل تظنين أنني أريد بوعدي؟ هذا ما توقعت. فأني على

استعداد أن أقبل هذا التحدي. لأنني واسع التجربة في عالم الآلات كأصوات

معنى التشجيع عندما أراه».

وبحركة سريعة ألغها أرضاً. ثم استدار وردد بجانبها ووضع يده على

وسطها.

حالت الخلق منه. ولكنه كان غافلاً عنها يحاول أن يمل إرادته عليها

ويجبرها على الخضوع حتى إذا طلبت الرحمة فلن يوافقها. فشعرت أن قوة

مقاومتها تنحسر ويحل محلها تجاوب غيبق له. وكانت كل حركة تقوم بها تلقائية

وغريزية. وشعرت أنها في دنيا غريبة بين الخليفة والخيال. الخيال بيننا لأن
الرجل يمكن لما الحب أما الخليفة فبذل على أنه ينتقم من والده ومنها فراح يوثقها
ونجح في أن يعزّز في قلبها الشرق إليه.

ثم راحا تبتكي فلقال لها:
«كفي من البكاء».

ولم ينطق بكلمة اعتبار أو طلب العفو منها. ولم تنتظر منه ذلك لأن له قلب
من حجر. ثم جلست وأزاحت شعرها عن وجهها ومسحت دموعها. ورأته يفتح سلة
الطعام التي جهّزها السيدة فيسك ثم سمعها تقول:
«إني أسفة. لا يمكنني أن أقرب الطعام».

هز كتفيه واستمر في إخراج سلة الطعام. فرأت أن السيدة فيسك جهّزت لها
السلطة في أطباق من الورق المقوى وبعد رأيان لنفسه شوكة فأخذها وراح
بأكلي. وبعد برفة شعرت بالخروج وبفراغ معدتها وشجعته راحة طعام رأيان
فتناولت السلطة بحثاً عن شطعنها وأخذت تأكل منه.

ثم سألتها:

«هل تشعرين بتحسّن».

فخفق قلبها هذا التغير السريع في مزاجه وهزّت رأسها ثم سألته:

«هل فرغت من التسجيل».

«نعم قمت بواجبي ويمكنني أن أرتاح».

ثم وقد يجانها، فأنارت حواسها الغريبة. وتجاوب قلبها معه. فساءف الطويلتان
الفرقتان وعطشات فراغيه وهديره العاري. كل هذه الأشياء ذكرتها بعناد
الفرد. وكان في إمكانه أن يجعلها تخضع له كهيئة تلكها شكرت ربما لأنه تركها
في الوقت المناسب لأنها كانت ضعيفة غماقه ومسلوبة الأرادة.

ولجأة جلس والنقط أحد الأحجار وأخذ يتلصصه وسعها تقول:

«هل هو ذو أهمية».

«ليست أهمية كبيرة».

ثم تناول حجراً آخر وقال:

«هذا من حجر الصوان. ويكثر في هذه المنطقة».

ثم قال لها:

«جعلت حي سراً لهذه المادة وهو ما أسكت ألا أفعله، لأننا لا أطبق النظريات».

بل أفعل أن أطبق العمل على نظرياتي».

يبدو أن هناك معنى مستراً وراء هذا القول. فإن حديث رأيان يتطوّر دائماً

على معاني مسترة ولكنها كفت عن محاولة حلها. ثم قالت له:

«استر من فضلك. فالجيولوجيا تهزني دائماً من زاوية المواجهة فقط».

«أعتقد أنني جعلتك تهتمين بأنواع الصخور أكثر من اهتمام أبي بطيور».

احمر وجهها خجلاً فتسبك لأعراجها.

والآن ملا أمول لك: كانت هناك كمية من الصخور المكسورة قطعاً ببيت بعد

فويان تلح العصر الجليدي. وعظمها كانت صخوراً قليلة ولكن بعض الصخور

جاءت من أربلر عاصمة الزوج واكتشفت على ساحل شرق أتلاندا.

وسوف أعبرك كتباً في هذا الموضوع حتى يمكنك أن تعرف شيئاً عنها».

فقال:

«على الأقل عندما ألحق أحد الصخور لدراسته أكون متأكدة أنه لن يغير دليل

أن أتمكن من اللد».

أطلق ضحكة شالية ثم وقف ومد إليها يده وقال:

«تعالني أأخذك إلى الماضي الحقيقي».

ثم جنبها فقامت وأخذت تنظف ملابسها فأخذ ذلتها في يده ونظر في ملامحها

وقال:

«هل جئت الدموع».

هزّت رأسها بالابتهاج. ثم قال:

«سناً. سأأخذك الآن إلى مكان يسمى غريز غريز».

وسارا في الطريق الذي يوصلها إلى السيارة. وكان رأيان يتحنن من وقت

إلى آخر ليعلق صخوراً من حجر الصوان. وما وسلا إلى هناك بعد فترة قصيرة.

احمرها رأيان أن هذه الجهة مكرمة من حجر الصوان. ومزا بأكواخ وكناش بيت

كلها من هذه الحجارة.

ثم تركا السيارة وسارا في طريق واضح المعالم وقال لها رايمان إن رجال الحفريات اكتشفوا عام ١٨٧٠ أن الحجر الموجودة بكثرة في هذه المنطقة هي ألواح لتاجم حجر الصوان الموجودة على عمق أربعين قدماً. وقد انهار سلق أحد هذه التاجم فخرجوا المعاول مازالت هناك بعد أن تركها رجال التاجم من ألواح السور ويمكن استعمالها الآن.

ثم أمسك رايمان يدنا بشدة فنظرت مارينا إليه وهي ترتجف واستطردت: فوجدت ثوبن الوعل الأحمر في كل التاجم. وهذا يعني أن إنسان ما قبل التاريخ استعملها كمعاول لاستخراج حجر الصوان. وظل أحد التاجم مفتوحاً للجمهور. فهل عندك الشجاعة لكي تنزل فيه؟ إنني أرى أنه جدير بالزيارة. وكان القفلة المستدير للنجم قد نزع، ونظر إلى داخله فوجدنا سلماً معدنياً يصل رأساً إلى أرض النجم فقال لها رايمان:

«سأنزل أولاً. ولكن يبدو عليك أنك محتاجة إلى تشجيع»

نزل إلى النجم ماسكاً طرفي السلم وأشار مارينا بالنزول. وكان النجم مظلماً ولكنها ظلمت على عوارضها واستدارت ونزلت. وأحذا بطران إلى النظر الرابع.

وطوقت يدا رايمان ومنط مارينا فارتكزت عليه. ولم تأبه لتأويله هذه الخطوة التي اعتبرتها نوعاً من الخوض العاصف.

وأمكنه بكل مهارة أن يمشي عندنا حاملة كبيرة كحماسه. وأيقنت أنها لن تليم. بعد ذلك. حواجز تفصلها عنه. فقد اكتشف الملتاح الذي يصل به إلى عوارضها فيمكنه أن يديره فتفتح له الأبواب ويكفه أن يفعل مايشاء.

وسمعا أصوات أطفال تصل إليهما من فوق النجم. ورتج أقدامهم تنق السطح فالتفدا. ثم رأيا وجوه الأطفال تطل عليهم من قمة النجم فقال رايمان: «لقد أخطأنا علينا. ويحسن أن أقدمك في الصخرة قبل أن يأتوا فيلسفوا جنباً». قبل انتهاء السلم رأته رايمان ينتظرها قائماً ذراعيه لها. ولكن قدمها زلت فجاهدت حتى استعادت توازنها. وقبضت على جاني السلم ثانية. وشعرت بالألم

بشخص في ساقها. وأخيراً ساعدتها رايمان لتصل إليه. ثم جسا ليرى ساق مارينا. ومسح الجرح ببنديله وهو يقول:

«لأسف. فالسيارة بعيدة».

مسوق عكتني الضباب إليها بسهولة. فليس الألم كبيراً.

ولكن بعد برهة. وبالرغم من الثقب ذراعته حول وسطها أخذت تعرج. ولجأة. وينون أي كلمة. مال عليها وحملها بين ذراعيه إلى السيارة. ولما اقتربا من المنزل قال لها:

«سأستأجر صباح الغد إلى لندن في رحلة سريعة. وعند رجوعي في المساء على تناولين العشاء معي! ما غر فلك يا حلوة»

كلمة التذليل جعلت قلبها يسرع. فهست تقول:

«إذا أردت ذلك».

«نعم أريد ذلك. أريد عيني ومادتين تنظران إلى عيني في ضوء السور وحاجبين عروسين يتحديانني وشخين كامشي التكوين غريباتي... هل يكفي هذا الشعور كي تعزلي كم أريدك»

ملأ وجهها الحجل للمعاني المخفية وراء قوله... إن الحب لا يبدو جزءاً عن حياة هذا الرجل فهو لا يحتاج إليه ويسخر منه. فمن الجنون أن تشرك نفسها تقع في شركه. ولكنها وقعت بالفعل ولا يمكنها التراجع

وعندما وصلا إلى المنزل حملها من السيارة. وقالت له:

«أأنتن يا رايمان. لئلا يرانا أحد. أنا قادمة على المشي لوالدك...»

ولكنه حسم على حملها وأبسم لها بحتان وقال لها وهو يقترب من الباب:

«هل هذا وعد مثلك؟ بأنا سوف نتناول العشاء معاً مساء الغد».

هزت رأسها موافقة. ثم دخلا البهو فاستقبلها هارولد غاضباً ولكنه لم يتكلم ثم رأى ساقها المبرحة ثاباً عليه الاتهام وقال:

«صداً حدث يا رايمان؟ وكيف تركتها تؤدي ساقها؟ طلبت منك بعض التسجيلات وليس أن نقبها إلى مكان خطرها أنزلها لأرى بشخص»

فاخذتها إلى غريز غريز. فهل تسمى ذلك خطراً؟ لقد زلت قدمها عن السلم.

غالت مارينا وهي تتامل بين ذراعي رايمان

إنه أمر بسيط يا هارفورد سأغسل الجرح وأغصمه.

«لا إني أمر على دعوة السيدة نيك لتساعدك. خذها إلى الدور الأعلى يا راين إلا إذا فطنت أن أحلك ينقي يا عزيزي».

«فعلها أنت يا أبي».

وحرص راين أن يجعل أبيه يترك تقدمه في السن والحظوة التي تنجم عن حله لخريته والتي بها، قبا بالك بمسعود السلم بها.

ووسع راين ماريتا على السرير وخلع لها حذاءها، للم تنهوا بل استعذبت لسه لها ولم تحاول أن تداري شعورها.

ومال عليها ثم قال هامساً:

«إذا طلبت منك أن تقصلي لي لأرتد بجانك هل ترغصين كما وقفت من قبل عندما وقفت في ميري ودعيتك أن ترغدي بجاني».

وسعا صوت السيدة فيك بالباب تقول:

«أسة ليويل».

فاستقام راين وهسي:

«سوف أعيد عليك هذا السؤال في وقت يسمح بذلك».

وخاطر الفرقة.

كان الحديث أثناء العشاء ينصب على اشتراك الأب وابنه في المناقشة عن تسجيل غناء الطيور وكانت معرفة راين عن حياة الطيور توازي معرفة والده بها. ولما فرغ العشاء تركها راين بعد أن اتسم لماريتا وودت

استراحة بدون اضط

ثم أخذت تسأل هارفورد عن يومه في الجامعة، فرد يقول:

«لم نخرج نباحاً كثيراً. فالمناقشات كانت عن المال، وعن الفخر القليل الذي سيجري لنا به بدلاً من المبلغ الكافي الذي نطلبناه».

ثم كتب عن الكلام في هذا الموضوع ونظر إلى وجهها بحنان وقال:

«إني سعيد لأنك مرتدية لروية. أصغر كالتنس وهو يتألمك دائماً».

ونظت لذلك. فهذه هي المرة الأولى التي ترتدي فيه ثوباً أسفر ولم يرها أبداً

مرتدية ذلك اللون.

ثم قال لها:

«تعالى معي إلى الحديقة يا ماريتا للزهرة».

ثم أمسك بيدها وسارا فوق العشب الأخضر الذي كساه الندى ورأيا السحابة ما زال يعمل بإخلاص.

وفي حديقة الزهور العتيقة برائحة الزهور والشرقة بألوانها طلب هارفورد

يد ماريتا قائلاً:

«يشترضي أن تكوني زوجة لي يا عزيزي هل تزوجيتي حتى تكوني بجاني دائماً عندما أحتاج لك؟ سأعطيك كل شيء... منزلاً جميلاً وأشياء قيمة وفوق

الكل... حبي».

استعادت هذه اللحظات وهي في عرفتها تنظر إلى السماء التي زينها النجوم. فتشعرت بألم قريب. وكانت قد أرجأت الرد قائلة له:

«أعطني وقتاً لنحن لا نعرف عن بعضنا البعض إلا القليل».

وقفت أن يكون الآن هو الذي يعين عن حبه لها ويطلب منها أن تكون بجانيه طول حياته.

وكان هارفورد قد رة عليها يقول:

«أنا أعرف عنك أكثر مما نظنين. الطريقة التي تبتسمن بها وتعبدين بها، وإذا أنضبت شيء أو الطريقة التي تشارك بها في كل شيء. ونضعت لذلك. والطريقة التي سوف نقتن بها بجاني تكوني هموسا لي. إني أراك في أحلامي. وأعيش معك خلالها... وراء الأحلام... تكمن الحقيقة... ونبت هذه الكلمات في ذهنها

ولكن لم يمكنها تفسير متاعها.

وقيل هارفورد أن يعطيها وقتاً للتفكير فيه. وكان متأكد أنه سوف يجعلها تتدبر بحنانه... لا يهم فارق السن بينها ما زال قريباً. وسوف يعيشان سنين طويلة ويتجيان أطفالاً.

شعرت بالشفقة نحوه. فهو رجل طيب وقتت لم يكن له ابن أحسن بقوة ولم تكن تعرف أن في مقدورها أن تحب بهذه القوة.

ثم أخذت تفكر في كل ما قاله رايان حول عدم الاكتراث للحب فقد أقسم أن هذا هو دستور حياته. وأنه لا يحسن معاملة النساء. وحاولت أن تذكره بدون فائدة. لم تنكر الحب الذي تشعر به نحوه. فهو موجود وسوف يستمر ولن يتغير أبداً.

استيقظت ماريانا في اليوم التالي لتراء جالماً بجوارها. فظنت أنها تحلم ولكنه أبسّم لها. وأرادت أن تخبره عن طلب والده بها. لكنها فكرت... إن هذه الدقائق الغالية لا يجب إفسادها فهي لن تزوج الأب بيتاً يحب الابن. وسعته يقول:

واتنا على موعد هذه الليلة كوني جاهزة عند رجوعي وسأعسل على وصولي سريعاً.

بعد حركه

وبدا اليوم طويلاً. ففي الصباح اعتذر هارفورد لتركها بمفردها وراح يعمل لتسلت ماريانا إلى غرفة رايان لأنها تأكدت أنه لن يرجع فجاء. وأخذت تجمّع المذكرات قرأتها مكتوبة بعناية بالغة. وأسلوبها سلس. وقارعتها بأوراق والده التي كانت توجد في العمل. فوجدت أن تسلس أفكارها واحد. فأسفت لذلك الخلاف الذي كان يفصلها.

وبعد الظهر عند وجودها مع هارفورد في المخبأ جنباً إلى جنب كان عطفاً متظاهراً... وكانت مشكلة التصوير. كما قال لها هي أن تكون قريبة من الطيور ولكن ليس بالقرب الذي يجعلها تنزع. وتوجد طريقة أخرى هي استعمال عدسة مقربة. وهي غالية الثمن ولكن عندما تصحح ماريانا أكثر تدريجاً. سوف يشتري لها واحدة مثل عدسته.

واختارت لحظة لتخبره لديها عندما مسؤو طيور. وكان سعيداً لأنه مسؤره وهو في وضع قريب أثناء طيرانه.

كان مشغولاً بإعداد الكاميرا للصورة الغالية عندما قالت له: أرجو ألا تسعد يا هارفورد. لأنني سوف أتناول العشاء. هذه الليلة في الخارج. فقد دعاني رايان للعشاء.

ثم التفتت إليه ورأت تعبيرات وجهه الجامدة.
«هل تظن أنه من العقل أن تقبل هذه الدعوة؟»
«من العقل»

«لقد حزنك من ابني يا ماريانا لا تستهتريه في معاملة النساء.
«ولكنه دعاني لتناول العشاء فقط. وأنتي ألا تستاء لذلك»
«أنا ولدي وإني أئن فيه... في بعض الأشياء فقط»
«أنا أسفه»

ولكنه لم يرد. فعرفت ماريانا أنه لم يتقبل الاعتذار.

كانت ماريانا جاهزة عند رجوع رايان وعرفت أنه يرجع سريعاً لمحاظ على موعده معها. فهل تستد الأمل من هذه الشواهد ولكن أي أمل؟ هل هو الأمل في أنه سوف يبيدها عواطفها؟ وهل هي خزيمة إلى هذا الحد كلها كل هذه التحذيرات من والده... بل ومن رايان نفسه... فلا قيمة للزواج أو الأطفال في مستقبله لا روابط من الأطفال والبيت. ولا عوائق أمام حريته.

ارتدت ثوباً أحمر نارياً يكشف عنها الأبييض ويحدد خصرها التحيل ولا يخفي ردفها المستثنى ودفرت كتفها بالشال الذي أعدها لها رايان.

ظهر الإعجاب في عيني رايان وقال لها:

«يا ماريانا جذابة وراقية. وهما صفتان نادرة الخطورة إذا اجتمعا معاً فلا لا أظن الأولي أما الثانية فأعتبرها من مساهلي. فعداً يجعلني أود البطش بها. فعدار يا ماريانا»

تتلولا العشاء في مطعم محلي. رأت على جدرانهم صورة قبيحة... وكان عيش المائس يمزج مع الحافس. وكان رايان يرتدي شرة بيضاء ولحمياً فلقاً ويلبغ شعره في القسي الحافت. فظهر كأنه نوره هذا القصر ومطبخاً سوادته.

ثم رجعت إلى الواقع ورايان يسألها

«هل تحبين المستقبل؟»

«المستقبل؟ إننا بالرغم من أن هارفورد طلب الزواج منها فجهل صغيرها. فودت تقول»

ولا إني أفكر في الماضي وأقصر على نفسي قصة من مائتي سنة مضت.
«لا يمكن أن أجاز بك في الماضي، لأنني رجل عصري، وأنا صورة مصغرة لإنسان
هذا العصر، في تصرفاته».

«وأحالاتها».

«وأحالاتها».

ماتت الابتسامة على شفاهها واستطردت تقول:

«إنك جيولوجي، ومع ذلك تسير هذا العصر. وهذا تعارض لا يمكن الجمع بينهما». «أنا أرجع إلى الوراء، في عيني، مئات بل آلاف الملايين من السنين وفي راحتي
أبني في الحاضر وأفتح بكل دقيقة منه».

ونظر إليها ثم عاد فقال:

«هل كل ثانية منه».

وتكلمها بهدوء، وكان لطف رايان قد أحاله إلى إنسان لم يعرفه من قبل فأين
ذهب بروه وأين اختفت قسوته؟ ثم قال:

«لا بد أن أريك هذه المنطقة، هل شاهدت غورفولك؟ نحن نمتلك زورقاً هناك
وبه محرك ومحركان وإمكانات لظهور الطعام وحمام صغير وكل ما يحتاج إليه
الزورق».

«وهل تقضي إجازتك هناك؟»

«أحياناً أمضي هناك بضعة أيام، ولا أذهب مع والدي أبداً. إن أبي يستخدمه في
تساعده مراقبة الطيور والمنطقة تسعده بذلك، أما أنا فأقصد المكان لأبعد عن كل
شيء. وسوف أضعك مرة تربية».

وسألت نفسها متى؟ لا أمل لها في شيء فأيامها في مبنى الألقى معدودة،
غريباً سوف يطلب منها هارفورد رفاً على طلبه الزواج منها وسوف ترد بالرفض
ولذلك يجب أن تغادر البيت. وهذا معناه ألا ترى رايان ثانية.

وحارلت أن تجد الشجاعة لتخبره بطلب هارفورد أن تكون زوجة له، ولكن
الكلمات كانت تتحرج في حلقها.

وبعد تناول القهوة قال لها رايان:

«اطلعم له حديقة خلفية مليئة بالزهور والأشجار. تعالى معي لنراها في ضوء
الشمس».

وبعد في الحديقة ظهيرة فسارا حرفاً وأحكمتا ماريشا الشال حول صدرها
لتفادي رفاة التافورة على جلدها.

وجدت في الحديقة مقعداً خشبياً وكانه ضنع للمحبين فتلقاه رايان إليه ولما
نظرت صورته وجدت ضوء الشمس قد أحاله إلى هيئة الأسياح، وكأنه أصبح جزءاً
من الماضي لا يمكن بلوغه. لقد أصبح شفافاً.. نظر إلى وجهها وأبسم فرددت
إبتسامته. إن الصباح لا يدق قلبها بهذا اللزج فالرجل له جسم قوي وعشلاته
حديدية تشعر بها تحت شترته.

ثم التفت إليها وطلبها فرددت بجانيه وردد لها قراعه لتستد وأمسها عليه، وأخذ
يتحسسها بيده الأخرى. وعندما ماتعت ماريشا عاتقها حتى لا يسمع
احتجاجها.. لا طائفة من مقاومتها ولا قوة لها على ذلك!
ثم جذب حرفي الشال عن عاتقها وأخذ يحسس:

«تدري إنك محبتي. اعتبرني بأنك وقعت في حبتي وإلا...»

وأخذ يجذب الشال حتى إنها شعرت بالحرارة، ولكنه خرب استعذبه وكانت
تحت رحمة ومع ذلك تتأرجح مع النسوة التي أثارها فيها.
«إني أحبك يا رايان أحبك».

ورأت في عينيها بريق الانتصار. لقد فاز ولكن ما هو هذا الانتصار؟
ولما عادا كان هارفورد في البهو وكانت أيديهما متشابكة عندما وقفا أمامه
ومكرت ماريشا. لو رجع التاريخ فترين إلى الوراء فحيناً كان أحدهما سيلقي
بفارسه هدياً للبارزة، ولكن الرجلين كانا أبداً وبه شعرت بالحرارة لهذا الحظ
الذي يقودها إلى المباراة حتى الموت..

ثم عدت إلى الحاضر وعرفت أن هذه المواجهة جعلت الجو يشككها بينهما فلا
بد أن تهرب.

التفتت إلى رايان وقالت:

«شكراً يا رايان لهذا العشاء الرائع ولكل شيء... ذهبنا إلى مكان رائع يا

هارفورده.

ابستم لها. فسادت عينا وأه في خديها المنهيين. ثم قالت رايان الذي كان ما زال مسكناً بيدها:

«لا بد أن أأسعد إلى غرقني يا رايان».

ثم وجدت بأحد يدها ويطيح ثوبه على مخصصها ولكنها لاحظت أنه يمثل هذا الفصل ولكن عندما نظر إليها رأت الدلف في عينيه.

ولما وصلت إلى غرفتها نظرت من النافذة وتساءلت ماذا يحدث في غرفة الاستقبال؟ ولماذا لم تجد الشجاعة لتخبر رايان بطلب والده لها؟ هل يخبره والده الآن؟ وبعد مطارحتها الحب في حديقة المقطم ماذا يظن رايان بها بعد أن يعرف أن والده يريد الزواج منها؟

وأخذت تتجول في غرفتها بقلق. ثم مشطت شعرها وجددت زينتها وعقدت الشال على كتفيها وكافأ عيني. أرادت أن تحسها. ثم نزلت إليها. ولعل أن تصل إلى نهاية السلم سمعت المراكب الثوي. لتسحب وجهها وضعت ساقيها فأمسكت بسياج السلم لتتمكن من النزول.

كان صوتها عالياً يمكنها من سماع كل كلمة منه:

«طلبت الزواج منها فطلبت مهلة تفكر فيها لكنها لم تردني».

ثم انخفض صوت هارفورده إلى الصمت ثم ارتفع ثانية.

«فعلت ذلك متعمداً فجعلتها تلعب في حيك لتجذاني وتغزو علي... استخدت لطفك وكل سلاح لديك. ذلك أسلحة كثيرة كثيرة جداً لتدفعها مني وتركني أعزل... هذه خسة وتذلة».

فرد الابن بصوت قاس:

«إنك على حق. وإن أنكروا شيئاً وأعترف أنني فعلت ذلك عن عمد. لقد عملت كل ما في وسعي لأجعلها تحبني. فكنت أرى ما يعربك من مشاعر ولاحظت ذلك من أول الأمر. وكان علي أن أتلقى الكرامة التي سوف تلعب حين إذا تزوجتها. فأنت في دنيا الأعلام... فنيك وعبدك... وكان علي أن أجعلك ترجع إلى عفاك ونراها كما هي لا كما تريد أن نراها. وأجعلك ترى غرابة تفكيرك وتغفل إلى

المصيبة التي سوف تواجهها إذا استمر حبك. وقد نجحت في مساعي غالبة باحت في بحبها وذلك بالقول والفعل وقد انتصرت بينا ذلت الخزيمة يا أبي. ولا شيء يمكنه تغيير الموقف فامتثل للحقيقة وعش في وحدتك بسلام وتعتل».

«لا».

ثم التفت إلى الباب وكأن شيئاً قد دخل عليها... فوجه مارينا كان شاحباً. وشعرت بأنها ماتت ثم بعثت كمي تعذيب. ولو أن العذاب كان قدرها وكانت كلمات رايان تطوف برأسها وترب فيه كأنها في كهف... «لقد فعلت كل ما في وسعي لأجعلها تحبني وإني أعترف أنني فعلت ذلك عن عمد. انثيلة بالقول والفعل واشترت أنها قد أحبتني...»

قال لها هارفورده وهو يلترب منها:

«مارينا».

فردت هامة مثل النسيم:

«هارفورده هل ما زلت تريد الزواج بي؟»

لتسحب وجهه ويبدأ عليه القرح وقال:

«نعم يا عزيزتي».

ولكن رايان قال:

«قلت إنك تحبيني لقد اعترفت لي بذلك عندما تحدثتك».

«نعم إني أعترف بذلك. ولكن كان هذا تحت التهديد والاكراه».

لا أحد يدري كم تكلمت من آثم وهي ترد عليه. ثم جمعت طريقي الشال حول عنقها كما فعل في الحديقة وقالت له:

«هل تذكر هذا الشال؟»

وأدارت وجهها. لقد وجدت في وجهه الازدراء والكراهة وقالت لنفسها بيأس:

نعم. الكراهة.

ثم أضافت:

«هارفورده هل ما زلت تريدني زوجة لك؟»

«يا فتاتي الحفوة. هل تذكرين ما نقولين؟ إنك شاحبة...»

وسوف أتزوجك يا هارفورد.

وكان صوتها غديم الثبرات وعينها مغمومتين وكأنها تنهي وهي نائمة.
أخذها بين ذراعيه في حنان وتقدير وكأنها شيء ثمين قابل للتكريم. ماذا
قال رايان عن ذلك منذ ساعات... بل منذ سبعين دقيقة! فهي تثيره وتجعله
يشتم كل شيء يراه رقيقاً قابلاً للكسر. وقد حطمتها ورش الحطام بلدهم.
وبما كان هارفورد يعانيها الحزن الشال عن كنفها وسقط
اجتاز رايلز العرة والنقطة وورسعه في جيبه ورأت ماريتا ما فعل
بشأنها وهو الهدية الوحيدة التي تلقتها منه! لن يكون لها بعد ذلك شيء تذكره!
وكانت النظرة التي ألقيها عليها قد جعلتها تجلجل وتتمسك حيشها ثم قابلته
ولكن بدا هارفورد أمسكتها. وسعت قدمي رايان لتجهان نحو الباب
الذي أوصده بشدة وراءه.

٨ - قلب من حجر

في اليوم التالي اشترى هارفورد لماريتا خاتم الزواج المصنوع من الخاس
والزمرود. وأعطيا فترة بعد الظهر في المخيا، أما الساء فقد بقيت في سباح
الموسيقى وقالت لنفسها، هكذا سيكون أسلوب حياتها من الآن ويجب أن تتعود
على ذلك. ولكنه سيكون صعباً عليها... فهي فتاة هادئة الطبع.
وأصر هارفورد أن تكتب إلى السزولين في التعليم وتبلغهم باستاكتها. ولم
يرى رايان طوال اليوم. لكن ماريتا عرفت أنه لم يغادر المنزل إذ سمعته
يجلس الشرفة على الشطخ. وقال لها هارفورد إنه دعى لاندا لمحادثة في مكتب
لمراقبة الطيور في أواخر الأسبوع... وأضاف وهو يميل خلفها:
«هذا معناه أنني سأغيب لمدة يومين».
ولكن المشكلة حلت بسهولة. فقد تلقت مشكلة خائبة من والدتها تقول إنها
سوف تحضر ووجبات ماريتا هذه الفرصة لتخبر والدتها بحظيتها لهارفورد.
فلما كانت لها:

«إن لدي أخباراً لقد خطبت. وسوف أتزوج يا والدتي»
«ومن هو ذلك الرجل السعيد يا حبيبتي؟ هل هو ابن البروفسور تيردور»
«حيست ماريتا أنفاسها حتى تتمكن من الكلام»
«لا، طبعاً لا... فهو ذلك الصنف الذي لا يتزوج أبداً. إنه هارفورد نفسه»
«وما سمعت صوتاً من الناحية الأخرى من الخط ثم أضافت:
«طلب الزواج مني ووافقته. على أنت مسرورة لذلك»

ذلك أحياناً وهي طفلة. فينب فراعي والدتها لجد السوى وحل المشاكل. فلم لا
تفعل هذا الآن. وأدركت أخيراً أن الخطيئة تكمن وراء الأثلام. وكان حلمها هو
حبها رايمان واعتوانها له بذلك الحب.

كررت جوزفين سؤالها:

«كيف تشعرين يا حبيبتي؟»

وقعت مارييتا وجهها ورأتها والدتها وهي تحز على شفتيها ولمست الخيرة في
عينها الرمادية فجلست بجانبها وأخذت يدها بين كففيها وقالت:

«أريد سعادتك فقط. ويجب أن تتأكد أن ما تفعله هو العساة من العار أن
تفقد زوجاً فاضلاً كالبروفيسور. يبدو أنه يحبك ويستعد أن يعقل ما يريته
ويستعك. إذا لم تتزوجيه وبعدت عنه سوف يندم وتتعظم حياته. فليس ثباتاً
يتحمل مثل هذه الصدمات.»

أعترف ذلك يا أمي. وسأكون له زوجة حابطة. وأعترف أنه يكبرني بمسرات
عديدة لكن عندما تحب الفتاة شخصاً لا يهم السن.

وهل تحبين أستاذك يا مارييتا؟

وبعد فترة طويلة ردت مارييتا تقول:

«إني أعجب به.»

تأملت جوزفين ابتها طويلاً ثم قامت لتستكمل عملها.

ونزل رايمان إلى المشاء وتحدث مع والده ومع جوزفين. ولكنه قاص
مارييتا فجلست حائرة بالرغم من أن هارفورد عيل ما في وسعه ليشركها
في الحديث. وكانت جوزفين تصحك معه أما مارييتا فابستت ولكن
رايمان تظاهر بأنه لم يسمع شيئاً. ولم يبق معهم بعد احتساء القهوة معتصراً
بأنه مشغول.

وبعد ذلك عندما كانا يخرجهما في غرفة مارييتا قالت لها والدتها:
«أفنى أن تكوني سعيدة يا عزيزي. فأنا أشعر بأن هناك شيئاً يزجرك أنا متأكدة
من ذلك. فهلا صارحتني به؟»

صمتت مارييتا لأنها لم تقو أن تكذب على والدتها التي قالت لها.

«ولكن يا مارييتا إنه يكبرك سنوات كثيرة. هل تتصرفين بحكمة؟»
ولم تأمل مارييتا هذا الترحيب القاتر لذلك التبا. فقالت:

«من غير شك أنتصرف بحكمة. أنا رايشة وأعرف ما أريد. أليس كذلك؟»
«لا تفطسي يا عزيزتي. مارييتا إذا كان في ذلك سعادتك. فأنا سعيدة به. والآن
يجب أن أهي دعوة البروفيسور. فإذا كان يصبح زوجاً لابنتي...»

وسكنت لأن هذه الكلمات جعلتها تنفض وهي تنفرد بها ثم جاء هارفورد
والتيق الساعة من مارييتا وقال:

«سيدتي سيويل. هل سمعت الخبر من ابنتك؟ جعلتني رجلاً سعيداً جداً وسوف
تعد بحفورك هناك.»

وربما أن تصل جوزفين في اليوم التالي لقضاء إجازتها في مبنى الألق.
ولمسة مارييتا ذهب رايمان إلى المحطة لاستقباله. وسمعه يتكلم مع والده
ولكنها لم تعرف التفاصيل. وعندما نزلت لاستقبال والدتها أصبحت وجهاً لوجه
مع رايمان. ثمأت في عينيته يرداً. ولما شكرته جوزفين لاستقباله ابتسم لها. ثم
لا استنار وواجه مارييتا تحت الابتسامة عن وجهه.

قالت جوزفين هارفورد:

«أمكن رايمان التعرف على بسهولة ولعل لي ابنتي أشبه ابنتي حتى يظن أننا
أشقاء. وهذا شكرهم لامرأة في سني.»

ضحك هارفورد وقال وهو يتأملها:

«نعم... إنك مثل مارييتا. ولكيك أكثر منها جلالاً وصفاء.»

ثم استأن رايمان بأدب وقعب:

«أخلفت مارييتا والدتها إلى غرفة منامة الضيوف. وجلست معها على
السرير وبينما كانت جوزفين ترثب حاجياتها أخذت مارييتا تقلب الحاتم في
أصبعها وهي لا تدري ماذا تقول.»

وبعد فترة صمت خرجت قالت جوزفين:

«حسنًا يا حبيبتي. سوف تصبحين قريباً امرأة مثزوجة. فما هو شعورك؟»
وددت مارييتا أن تطوق والدتها بدماعها وتبكي من قلبها. كانت تفعل

«راحتك أثناء العشاء وراحت البروفيسور أيضاً»
«ما هو انطباعك»

«لا تكوني متعسكة، يا حبيبتي، فإني أريد الوصول إلى الحقيقة... هارلورد لطيف وطيب ورائع، وهو يملك الحيوية لأشك في ذلك، ولا يعاني من أمراض الكهولة التي يعاني منها غيره من الرجال، ولكنه ليس شاباً في تصرفاته يا ماريانا ومن الصعب عليه أن يتجاوب مع فتاة منها أقل من ستة بشاينة وعشرين عاماً، فلا بد أن تأللي على طرق معيشته لأنني سرت في الطريق نفسها ولكن رحلتى كانت مع رجل يذارب ستي»
انجهت ماريانا إلى الثالثة ثم قالت:

«لن أقيم رأيي يا أماء... فأنت تتوهمين صعباً لا وجود لها. إنني أقدر اهتمامك بي ولكن لا فائدة من ذلك فسأزوج هارلورد»
وبعد يومين ذهب هارلورد إلى مانشستر حيث يعقد مؤتمر عالمي لمجموعة مراقبة الطيور، وكان مدعواً لمركز هام في المؤتمر، وقبل سفره عاتق ماريانا وقال لها:

«لو كنت بفردك لأصطحبك معي ولكني لن أغيب طويلاً»

ثم تغرب الجو واكتمهت السماء، وكانت الأمطار تسقط من وقت إلى آخر وقتت جوزفين من رؤية الحقيقة كلها سمح الجو بذلك. وفي يوم اصطحبها رايمان إلى نورويتش ثم تركها في السرق وقال إن لديه بعض الأعمال. وجاءت ماريانا فإذا كان يدعي هذا العذر كي يتجنبها. ولما رأت المظلات الخشبية التي تغطي أقسام السرق وتحويت بينها وشاهدت البضائع المعروضة، تذكرت حين كانت في السرق ومرت على القسم الذي رأت فيه النبال الأبيض الذي اشتراه لها رايمان والذي استعانه ثانية. وربما أعطاه لأن لصديقتها...

وقامت عاصفة بعد ليلة على شيايب هارلورد، وكان الهواء يعصف مثل هواء الشتاء

واستيقظت ماريانا بسبب الضجة التي سببتها العاصفة، ووجدت أن مقاعد المدينة تهتت. وأمكنها رؤية الأشجار في الغابة إلى جانب القدير

وعتت ريح قوية أتية من بحر الشمال، لم تنعها الثللال التي صادفتها والتي كانت كحاجز للرياح، وسمعت أصواتاً أتية من الغابة. وتذكرت ماريانا مجاً هارلورد هناك وتذكرت أن العاصفة لا بد أن تهشم، وهو مرة عين هارلورد وجزء من حياته. ليست ينظرون من الجيت فوق قميص نومها وشرة سمكة وأرادت حيداً وتزلت إلى البهو وولت منه إلى الخارج، كان الهواء شديداً فتناثر شعرها على وجهها، وكان العنكب مبتلاً بها، المظرة فابتلت أصابعها العسارية... ودخلت الغابة، واجتازت نيات العليق الذي مزق ينظرونها، وتركها انشأراً على جلدتها... نعم لقد وجدت المخيا منهاراً تحت الأشجار وسقته مهشياً وقد انقلبت المفاعد وابتل القفر حيث يحون هارلورد مذكراته، فلما وضعته في جيبتها سمعت وقع أقدام تغير العشب وتفترب منها، فتسمرت بخوف يلوق خرقها من العاصفة. ونظرت خلفها فرأت رايمان ينشر إليها بفخس جعلها تشعر بحاجةها إلى حماية نفسها منه. فأخذت تركض لكن الهواء أطار شعرها فحجب عينيها ومنعها من الرؤية، فاستقدمت قدمها بجزء بارز من جذور إحدى الأشجار وارتقت على وجهها وهي تئن.

ثم شعرت بيدي رايمان محاولان إيقاظها، وفككن من الأسلاك بها من كمالها ورغيفها، وبقي وجهها إلى أسفل، وكان يحلها وأحياناً يجرحها فجرح الشوك وجهها ووقتها، فأخذت تصرخ وتحاول أن تجعله يتركها، ثم شعرت بجسم الرجل يغطيها ليحبسها من... ماذا؟ وسعت صوت شجرة ضخمة تسقط قريباً منها حتى أن بعض الأغصان احتكت بها في رذلها. وبيها بدأ الهواء الذي كان قد بلغ قوته يبدأ يغطي المظرة غزيراً، ثم قام الرجل الذي ارتقى فوقها وقيث ماريانا رافعة لأنها فطدت القدرة على الحركة.

جلس رايمان وقال:

«يا إلهي! كانت تكون نهاية زوجة أبي المستبلة، ماذا أتى بك في هذا الجو العاصف»

قرأت تقول:

«إله المخيا التي يعثر به هارلورد ولله الحمد»

تقاطعتها راياان متعكياً

«ولذلك كخطية مغلقة حارلت إتقاةً مضخية بحياتها».

«لم أكن أعرف أن الشجرة مستقلة».

«أي شيء مثله له الزنوج وما في ذلك سلوط الأشجار. إنه بمنزلة يا فتاتي، بمنزلة... هل تسعين؟»

وأعطاها على الوقت ثم أخذ كفيها بين يديه وراح يهزها حتى تحطت أسنانها، وكانت حركاته قاسية بعد التي قامت من العاصفة حتى أنها أخذت تصيح وتعلن أنها تكرهه. ولا تود أن تكون فرداً من عائلته...

ولكن كالماتما أصبت بعنق بئها اعترق في الحوام التي كانت تلك حتى الآن بين علاقاتها. حتى أنها شعرت بعد ذلك أن حياتها أصبحت وانتهت.

وبالتدريج أخذت طبيعة هذا الصاق يعثرها التغيير. شيئاً بدأت العاصفة تهدأ من حولها. كانت العاصفة التي في داخلها تقوى. وللشجرة الثانية راح راياان يفترق الحوام. وكانت عراطفه هذه المرة خالية من الغضب بل تلتهب بالثائرة والريشة. ولم تقل له «لا تلمني فقد أصبحت ملك هارفور» الآن ولست منكته، فهي ما زالت تحبه بل زاد حبها له الآن... حتى إذا كان سيجعلها تحبه قلباً ثانية. كن قهاه حقيقة علاقتها بهارفور. وينكسب لها مبلغ غباها أهدعها عنه ولكنه أيقاها معه للم يفرغ بعد من مضايقتها. فهست تقول:

«راياان».

وكانت متعلقة ترة أن تود له دفء شعوره. ولكنه أهدعها بخسرة وكانت يداها تحت إعطاها لمساعدتها في المشي. وحاولت أن ترى أي أثرها في تقاطيعه أو أية إشارة بأنه يحتاج إليها كما تحتاج هي إليه. ولكن كأنها تبحث عن مسار أحد الطيور المضلعة. فلم يبد أية قوة من السلفة أو الختان وأخذ يضغط على ذراعها ويقول:

«والآن يجب أن تترك هذا المنزل وتتركي والدي. اذهبي وأخرجي من حياة أبي وتركيه لأحلامه».

ولكنها لم تسمع. فقد وضعت رأسها على كتفه تدريجياً وقالت وكأنها تهذي

من الحبي:

«أناك ساذي وجنار، ولبس، وظن أنك لتعني فرساً... فرساً أخى قلت إنك ستلشي الدرس ثم الدرس حتى أترك والدك وشأنه».

وسكت للطر ولكن صرعاها ما زالت تهتم على خديها. وراحت تكيه وهي مرتبة على صدره وشعرت بصدرة صلياً كالجيل. ثم هست تقول:

«راياان... راياان».

ولكن قبضته لم تزل. وبقت ذراعها كالجيل الرقيق حول ظهرها.

ورأيا البرق يبر السواء ولكن العاصفة هدأت عند الفجر. فابتعدت حاربتا عند وفات

«راياان».

«إن وظيفتك تتاسبك لظفك من حجر. ولابد أن يستخرج قلبك من جسمك ويلخص ليعثر فيه المرء على بقايا النباتات وأحيوانات أو شواهد أخرى من الماضي».

قبض على ذنبها وأجار وجهها إليه لم رأى على ضوء الفجر الخافت المبروح وأغبروش التي سبها لما نبات الغليخ عندما جرها ليقتل سلوط الشجرة عليها. وراحت ترحف ولكنها لم تدب لتخطيها. سباً لذلك. هل لا تطلق صلابها. أو للظرة الباردة التي كانت في عيني راياان؟ وكان شعره مبتلاً. كضمرها من المطر ووجهه يعلو الغبار من رقتنها.

لقد أخذ حياتها ولكنها لم تشكره. وقباً عليها بين ذراعيه وغابراً الغابة والشجرة التي سقطت والمحة المنهار.

«لالت وهي لتعج بضعف».

«لا داعي لأن تعلمني. فيمكنني المشي».

ولكنه ظل يمسها عبر العشب متجهاً إلى البيت. ثم قالت:

«راياان».

ولكنه تظاهر بعدم سماعها. وبالرغم من ذلك استمرت تقول:

«أعذت بحياتي. فشكراً لك».

ولكنه لم يأبه لشكرها. واستمر في التي يحملها كأنها عبء. يود أن يتخلص

منه.

شكرته لهذا يطلب بعد ذلك؛ وأنزل في المطبخ وقال لها في حزم أن تبقى في مكانها. ثم أخرج من حزمة الاسطوانات الأولية طناً وسائلاً ملتصقاً وأخذ يظف الخدوش التي كانت في جبهتها وأنفها ويدير بطول خديها. وأخذت تقول بدون فائدة:

«لا داعي لذلك».

ولكنه استمر في تنظيف وجهها حتى نظفه كما يريد. وقال:

«هل تحتاجين إلى مشروب ساخن أم بارد».

وكانت تود أن تشرب مشروباً ساخناً ولكنها ردت تقول:

«لا. شكرًا. لا داعي أن تغالي في شربك فعندما يرجع هارفورد سوف أخبره عن اهتمامك بي. وأنت كنت مستعداً أن تقاطع بحياتك كل تلك عروبته المستقبلية من التكررة التي سبها شيئاً».

ورأت غصه المصاح في عينيها. زهدت ذراعها كي تعسى رأسها منه. واستعدت عنه. ثم رأته يقترب منها على مهل ويقول:

«أنا ساذج وجبان. هذه هي حياتك. هل تذكرين؟ لم أنسها ولكن أنساها أيضاً. وربما كنت على حق. ولذا فأسرعي بالفروج من هنا. بعيداً عن نظري واقضي إلى شرفتك وأوصدي الباب وراءك. وإلا فلأني لست مسؤولاً عما يحدث لك».

ولم تشعر ماريشا بالرجعة إلا بعد أن دخلت غرفتها إذ أخذ قلبها يدق وأنفاسها تتعاضد. ولكنها لم تجد الذراعين اللتين تعطينانها «حصى السلام» والسكينة ولو كانتا حدينتين.

ولما أتى الصباح وجدت ماريشا نفسها مضطربة أن تعسى ما حدث فتعجب وجه جوزفين لما رأت وجه ماريشا المرحج. ماذا حدث؟ وأصبحت أن تعرف لأخبرتها انتهت بنا حدث.

ولما نزل رايان للافتطار شكرته جوزفين لما تبسم لها بحماسة وشعرت ماريشا بالبرودة تسري في قلبها. وقال لها إنه من الحماسة ألا تترك ابتهاجاً منها

رجاحة العقل.

ولما رجع هارفورد طلب المزيد من التفسيرات. فشكرها بإخلاص عيني لعابها كي تنفذ بحباء القفل.

وكان رايان موجوداً للترحيب بأبيه فقال له:

«يجب أن تكون صادقاً معها يا والدني. قل لها إن ضياع الحب لا بعد كارثة. فمن السهل حل نكاحاً آخر باستعمال بقايا الحب القديم. وقد عاينته فوجدت أنه من السهل إعادة بنائه».

فالتفت ماريشا إليه وقالت:

«هل تحاول أن تقول إن يهودي في إنقاذ الحب كان حياً. شائعاً وأنتي كنت سقيته. كما تحاول أن تجعلني أبوء دأثراً».

وأنضب رايان والده كذلك. فقال له بغضب:

«إن الجانب القاسي لا يهم. ولكني متأثر لأنها فكرت في ولي الأشياء التي تهمني. وهرعت أثناء العاصفة لانقاذها بينما أنت. بعدم اهتمامك بالغير. لا تعرف عن ذلك شيئاً».

فرد بسخرية:

«شكرًا لفرطك بالجميل. أنا لم أقتد حياة زوجتك المستقبلية من الموت المحضوم فقط بل كدت أفقد حياتي أيضاً».

وخرج رايان. وهرعت ماريشا إليه وهو يصعد السلم فالتفت إليها... كيف تهوّن عليه. وكيف تأسر المرح الذي سببه له والدها؟ وهست تقول:

«وايان! أنا أسفة».

وبقي وجهه جامداً وشاكت عيناه وأخذتا تطوفان برجوعها. ثم قال:

«هل أنت أسفة؟ ولماذا؟ هل أسفك على أم على أبي أم عليك؟»

ثم استدار وصعد بنية الدرج.

قضت ماريشا الصباح مع هارفورد في الحبأ الذي أعاد بناءه وله عشة ماريشا. جاءت والدتها لتشاركها القهوة. وكانت هي التي حملتها. إليها بدلاً من السيدة لميسك. وقد تأبطت أحد الخاعد المصنوعة من القماش ثم رعدت

هارفورده أن تبقى صامدة بينا يراقب طيورده ويتعرف على ألوانها ولحناتها.
وسر هارفورده لا اعتاد التمتين من أذى النساء عليه ولما رأى أن اهتمام
جوزفين صادق وعد أن يعرجا كثيراً في هذا الفرع. وهشت هاريتا لتصرف
والدنيا التي كانت في هذه اللحظة تنظر في نيكسكوب هارفورده لتعرف على
أحد الطيور. وأخذ يصغره قليلاً.

«إن ريشه أبيض وأسود، وذيله طويل يحركه من أعلى إلى أسفل».

«لقد رأيته، رأيته على القرو».

وسر هارفورده لسرورها وقال:

«إنك أسرع من ابتك. فهي تحتاج إلى وقت أطول منك لتتلقى أثر الطيور
والتنظير».

«ستصبحين في يوم ما، تحت إرشادي، خبيرة مثل».

لقدت جوزفين تقول:

«كانت دائماً بطيئة في ملاحظة الأشياء، نظرتها الأشياء الراضحة التي قد تكون
تحت نظرها مباشرة».

«فجئت هاريتا لعدم إخلاص والدتها لها وقالت

«يا أمي».

ورد هارفورده يقول:

«هل تعلمين أنها إذا رأت طيوراً مألوقة، مثل البومة، وأقلة على فرع شجرة
قلتها لا تراها».

«وسمكتها معاً على حساب كرامتها، فليصعدت عن هارفورده الذي قال
لوالدتها».

«لقد ألتصقا يا جوزفين يا هاريتا، يا حلوة لا تقضي بسرعة، لم تقصد
إبداً».

«قبل الغشاء مباشرة شاهدت هاريتا من نافذة السلم سيارة صفراء زرقاء
تقف أمام المدخل وتدل على أن صاحبيتها آتية. ولم ينظر بها التفكير كي تعرف
صاحبيتها، فلما سمعت الضحك الآتي من الممر خلفها غاص قلبها، إن شيئاً لم

يجب. لقد كانت الفتاة في غرفة رايمان الذي كان يرحب بها.

«واجهت هاريتا حرجة عارمة من القصة لم تعرفها من قبل، ثم سمعت
صوت يابح يتبع وحدهما يصيح مسموعاً فخرجت إلى السلم ورايت إلى النهر
مسرعة. بينا وصل رايمان وصديقه إلى أول الدرج».

«ونظرت هاريتا إلى أعلى ونظرت دورين إلى أسفل... كانت دورين تنظر
إليها من عليتها فهي عبرتها اللبنة وكانت هاريتا قد تأملت دورين في
تورويتش ولكنها اليوم كانت محفوفة غميلة ثقيلة شائعة على أول السلم».

«ارتكر رايمان على درابزين السلم. وأخذ ينظر إلى المراتين. ولم يشر أحد بأن
يلوم بواجب التعارف فاستشارت هاريتا. وقصدت غرفة الملبوس وهناك أحست
بأنها أصبحت، من خلال حطبتها إلى هارفورده، ماضية البيت. وكان عليها أن
تتأخر بالترحيب بدورين ولا تنتظر من رايمان أن يجيئها».

«ولما دخلت الغرفة كانت دورين الباردة بالمهارة. فاجتازت الغرفة مائة يدها
للأمت هاريتا وسلمت جلستها وهي تبسم. ثم قالت دورين وهي تنظر إلى
خاتم هاريتا:

«لقد تقابلنا من قبل، في مكان يشتر إلى كل هذه الفخامة. ويجب أن أعتك
مخاطبتك إلى البروفيسور تيودور. وأرجو لك السعادة. من غير شك سوف تعرفين
كل ما يشغلك بهذا العيش هذا».

«وكانت تبسم بكبرياء، فالتفت وجه هاريتا من المعاني المستبشرة وراء
كلمات دورين. فهي في نظرها حنن زوج هارفورده لثالث ومسلكتها. ثم قالت
دورين وهي تشق إلى رايمان:

«الذي يتزوج رايمان لا يفعل ذلك لهذا القصر الفخم أو للترف الذي ينفقه
عليه والده».

«وكررت نظرها عليه وهي تقول:

«إنك دائم الرجيل يا حبيبي. ولا تملك لك ولا راحة تعرفك ولا تحصل هيأ من
خسر هذه الدنيا».

«فأجاب رايمان وهو يبتسم ويسكب الشرابات:

وأنا وأدت رجلاً. أطرف في الأفق وأجتاز الصحارى ولا أترك ورائي شيئاً سوى آثار قدمي على الرمال من غير امرأة تطاردني وتسلمني بلباسي وتقول إنها تحتاج إلي ولا تدعني أفلت منها.

فحسب وجه مارييتا وردت تقول:

«لا أجد أي امرأة تلك ذرة من العقل تريد أن تطارد رجلاً مثلك، لا يقدر للمسؤولية ولا يحتم إلا بنفسه».

فضحكت دورين وقالت:

«من دواعي السرور أن ترى، يا أستاذ نيوبل، أنك سوف تصططصين بآسن زوجته».

نظرت مارييتا إلى رايلان والكلمات تدور في رأسها. أين... زوجها... وأرتجفت بعدها حتى. أين رايلان أخذ الكأس من يدها. وبدا كأنه يفكر في هذا الوضع إذ ابتسم... ولكن لم تفكر هي من قبل أنه سيكون... أين زوجها...

٩ - المركب

بعد الغشاء جلست جريزلين بجانب هارفورد على الأريكة تغلب كتب الطيور وتعجب بالوان ريشها الزاهية. وكانت مارييتا تعرف أن والدتها لها ذاكرة قوية تسجل كافة التصوير، وكان متعدد رايلان يطارب متعدد دورين، وكما علمت مارييتا كان حديثها يدور حول الجيولوجيا. ولكن رايلان كان يفتش النظر إلى مارييتا وهي جالسة تلعب صلصات المجففة التي أغارها لها هارفورد. وتحتوي مقالاً كتبه بنفسه عن طيور شرق أنغليا. فقرأت المسال ولكنها لم تهتم به.

ثم أخذت تراب والدتها و هارفورد، فوجدت أن والدتها قد خلطت خلطات واسعة في توطيد العلاقة بينها وبين خطيبها. وكانت والدتها تظن أنه بعد زواج ابنتها سيصبحون جميعاً عائلة واحدة سعيدة، بما فيهم الابن ولذلك أظهرت الود نحو صديقة الابن فهل علمت أنه جالس بجانب زوجته المستقبل؟

ولاحظت مارييتا أن هارفورد تغير تغييراً كاملاً خلال الأسابيع التي قضتها معهم. فذهبت صورة ذلك الأستاذ بلاسيه المتعينة، وأصبحت لا تعرف الرجل الذي كان يظف بالمخلل شارح الذهن ويهزول ويشعل بجانبها ليوجه إليها النصيحة.

نظر إليها. فلما رآها جالسة بعيدة. أشار إليها أن تجلس بجانبه. ثم لف ذراعه حول وسطها وشعرت ببلقة مريحة على رأسها فظهرت إليه بعينين لامعتين. وشعرت بالسعادة لحبته لها.

ولم يلت نظر جوزفين شيء مما يدور حولها. وأخذت لتحدث عن مرور الطيور النادرة التي توجد في الكتاب. وبذلك تحول اهتمام هارفورد عن ماريتا. ولكن من الذي يمكنه أن يحسب فراخ هارفورد التي تطير وسطها؟ ومن الذي يمكنه أن يطلع خاتمه من أصبعها؟ أنها لن تفتيح ثانية لسحر رايان. فقد ذات الليل على يديه وتغيرت أنها الآن محبسة في سحره. فلن تنكح معها إلا منه ثم أثار رايان أسطورة القصة وفتح خزانة هورين وأخذ يرتفعان في أرجاء الغرفة.

وكان ينظر إلى دورين ويتكلمان أحياناً ومضحكان كثيراً فافترستا ماريتا من هارفورد أكثر ثم توقفت أنوسيفس ولكنها أعادها ثانية واستمرت في الرقص. وعندما أبدت جوزفين رغبتها في شرب القهوة صمّت هارفورد بتدني السيف قبلك طلياً مضطرباً وتغيرت ماريتا بهوة بينها وبين والدتها. ولم تحاول أن تقترب منها ولم تشجعها جوزفين على ذلك. قالت ماريتا ولم تلمح ماذا طرأ على والدتها. وفتحة وجدت ماريتا رايان وأعاداً أمامها بدورها إلى الرقص. فتغيرت ماخوف تألمها لا تريد أن تلمسه وحاولت أن تتلاها. ولكنه قبض على رسغها وأوقفها فقالت دورين دعني رايان يراقصك فهو يحب التغيير وإذا تزوج يلقى بجانب زوجته لفترة ثم يتركها تبحث عن غيرها.

قال رايان وهو يضم ماريتا إلى صدره

«نعم سأتركها وما زالت فلات تنور العسل على شفتي».

قالت ماريتا

«لا أريد الرقص معك فأنت لم تستأنس».

«لا استنار ليس من ضمني. بل علي أن أعاد ما أريد ثم يكون جزائي فراعين تطوفان شفتي».

«ألك عسبي وقاس».

«قلت هذا من قبل».

«أفان دعني لأذهب».

ولام

ثم رأته هارفورد. راجعاً إلى الغرفة وعلى وجهه تعبير من عدم الرضى ثم جلس بجوار جوزفين وقال:

«عندما أتزوج يجب أن تأتي للاقامة معنا حتى نذهب جميعاً لمراقبة الطيور».

ولما فرغ رايان من الرقص اتحن بسخريه ماريتا ثم عاد إلى دورين

التي رحت به.

وفجأة استدعى هارفورد إلى أقماعه وسأل ماريتا إن كانت تريد الذهاب معه. ولكنها اعتذرت لأن رجوعها إلى سبها كخطبة رئيس القسم يجعلها تشعر بالحمل. وإن يجب أن تواجها زملاء هارفورد والخبراء وكبار رجال التعليم كما أنها في قرارها نفسها ثم تليل فكرة خطوبتها إلى الرجل الذي كان رئيساً لها.

وقدب هارفورد في الصباح وهو يؤكد لها أنه لن يقضي الليل بعيداً عنها حتى لو عاد في ساعة متأخرة. إذ لن يتغير شيء عن تلك أحواله.

وفي منتصف النهار كانت ماريتا في غرفة والدتها لتجرب إحدى بلوزات الأم عندما سمعت نغماً على الباب. فدفعت القادح للدخول فلما أنها والدتها. ولكنه كان رايان فصاحت قائلة:

«لا. لا يمكنك الدخول. لقد طننت ألبس».

والذي الذي كنت سرحون به فراعين مشرعتين فهو عضك».

«لا تكن سخيفاً بلطفك سحر وأنا أحب بعض الملابس».

«اجنبي. فسطر انسا. ومن يلمن لرا. وليس امر لا يجتلي».

«على رأيت الكثير منهم».

فضحك وقال:

«كثيراً جداً».

«ماذا تريد».

«أولاً أن أعطيك النال».

«والآن لم أكن أريده ثانية»

«كني عن عيتك معي يا حيتي، والا تلك أكثر مما فقتت، أو ألقه حول عنقك

ثانية كما فعلت في المرة السابقة»

وكان ذلك في الليلة التي اعتزقت له فيها بحبيها، وكانت لحظة عامة بالنسبة

إليه لأنها تعتبر انحصاراً له.

ثالث

«لماذا أعدت الشاي الآن؟»

«ربما تروى أوتروضية، فيجب أن يسود بيننا التقاهم إذ سرعان ما ستصبحين فرداً

من عائلة تيودور».

«بل من الأجدر أن تدعوها غسلة أو راحة من الحرب».

«لا، غسلة، واسمعي لأننا سخرج».

«ألى أين؟»

«هل تذكرين المركب التي أخرجتك عنه، الجو منعش والوقت مناسب لرؤيته».

«وهل تترك والدتي وحدها هناك؟»

«ستأخذها إل لوريلوك لتري معالم المدينة وتيوب المجلات».

«وماذا عن دورين؟»

«ذهبت وتركنتي».

«ولكن لماذا كنت اعتقد...»

«اكتشفت أنها تلعب حفاطاً وهو الزواج وهذا هو عيب النساء، فيعد يضع لداً

يتخيل أن نسيحة الزواج أصبحت قريبة منه».

«أناك حقيرة»

«فصحتك غالباً وقال:

«وليفتي هم على العيش في أماكن مظلمة، وأنا كنت راحةً فحين أحصل على

إجازتي أراهن بين العيشين، ولذلك تعهدت على النساء التوالى لا يشكين

الفراق ويتيلن ألا يرتثن ثانية».

«كنها تقول: غداً الحب واقف».

نعم

«لم أطق إلا الآن كما أكرهه».

لأن

«سأعطيك خمر وقاتي حتى تستعدي».

ثم لحظ الغرفة وخرج

مرآ في طريقها غير قري وحقول، ومنازل قديمة، لحصل آثار الزمن السحق.

وسلوا عداها في مطعم قديم يرجع تاريخه إل القرن الخامس عشر، وفي الطريق

إل البحر سألته «مارينا

دوكن بلف المركب»

«بالقرب من هورنغ وعادة يذهب الذين يقيمون في المركب إلى المحلات

الطرية بل أن يتوجهوا إلى مراكبهم وما أنا نسم هناك فإن نمرج على هذه

المحلات».

وكان المركب صغيراً فيه حيزتان للثوم، وطاف بها في أرجائه ثم أشار إلى

الطبخ وهو يقول:

«هنا نجد الحماة وخزائن الحافق وفي غرفة النوم أرائك للثوم، وسعمل للجلوس

نهاراً، وتوجد غرفة أخرى للثوم فيها كفي وسائل الراحة الحديثة، وهي مثالية

لقضاء شهر العسل، فهل تظنين أن والدي سيأتي بك إل هنا».

«المضطرب لهذا الخاطر هل تبلى وحيدة مع هارلورد ليلاً ونهاراً».

«ولأن ما رأيك في المركب»

«أنا راجع... هل نقى فيه أم يهر للزينة».

«ستذهب للزينة».

ثم أدار المحرك وفك الحبل وفكاه إلى وسط النهر بهيئة وسار بين مراكبه

لحراعية وقوارب تجديف ولشاش بخارية، ورأت فتادق يحدثن شدة إلى النهر

وتسميات مخططة ظلال الموائد

وكان راهاًن يلمو المركب بخفة وحن وقت الغذاء فنظر إليها فرأى شعرها

بطير ورائعاً مع الهواء ولذا ارتست نظرة رضى على وجهها فلما:

«هل تشعرون بالجوع؟ أن كل شيء معد... أمسكي بعجلة القيادة»

«لا... لا يمكن ذلك»

«ألا تتوقين السيارة؟»

«أرؤيت رأسها فقال»

«وانت يمكنك قيادة السفينة. حلّ عملك أن أنت بالطعام»

«تفكرت مارينا على شجرة القيادة، ووضعت يديها عليها فقال لها»

«أمسكي بعجلة بحزم، وحاولي ألا تعطدني بشيء»

«وتركها تفرد المركب وحدها فشرعت بالتعاطي لهذه التجربة، وكان المركب يسير

إزاء ويسير بين مجموعات البطّ الذي السابعة في النهار»

«ولف خلفها وقال»

«ههناك بعض... ربما كانا ذكراً وأنثى وهما ضيران جميلان»

«فجذبت مارينا وقالت»

«أرجو أن تأخذ عجلة القيادة»

«هولتكك لحسن قيادة السفينة»

«أنا خائفة أن أستخدم بالتعاطي»

«هاتكها... لكنها صفت بطول»

«أشعر بجوع شديد»

«فأراحها من القيادة وقال»

«سأجد مكاناً لربط المركب فيه وتناول الطعام»

«وأدار المركب ناحية الشاطئ، وفاز على البحر وربطه في جذع شجرة»

«وسأله مارينا»

«كيف حصلت على هذا الطعام؟ هل هي السيدة... ليست»

«لا أنا اتصلت بأحد أصحاب المحلات المجاورة ليرى السفينة فجاء بالطعام»

«ووضعه في الثلاجة»

«وأشار إلى وهدين خلف الشاي والقهوة»

«وهنا ما للتأخير من الشاي أو القهوة والسكر والحليب المجفف»

«كم ينس أن شيء. حلّ أبدأ في الطعام»

«لا ينبغي في ذلك فأنت شريكة في البحث إذ أوشكت أن تصبني غروب»

«أنت»

«وتحيز وجهه ضمنت لحياته وجمدت نظرة عينيه»

«وبعد الغداء استمر في الزحف، وكانا يحدان عن المنزل مسافة طمينة تشعير

ساعتين في السيارة ابتداء من البحر»

«ثم قال لها وهو يشير إلى أحد الطيور»

«صغيتي أعرف كم الفت من عالمي وأنت. هل تعرفين هذا الطائر»

«فجاءت لتعرفه وكانت على وشك الاعتراف غلغلة صامتة لثقة»

«أرادوا ولم يكن وشك هو الذي أشار لي منه بل أنت. ولكن ذلك في تركلك»

«هل تذكر»

«نعم تذكر ذلك اليوم الجميل. ثم الطير... هذا طير اسمه... مثله الصياد»

«نعم وهو جميل»

«ثم قالت له بفعل»

«أنا، تعلني أشياء أكثر مما تعلمني والدك»

«وسا بينهما صمت كانت تنقله أصوات الغلي على الشاطئ، وضجيجهم

«وكانت المطول ممتدة رعي فيها للثانية، ثم قال وما زالت تراه تطوق خبيرها»

«البعض يلوتون أن هذه المنطقة هي صورة مصغرة... فوجدنا كما أن طيرتين

«لقد تمسك هذا الصياد»

«ثم لاحظت أنه يرسم على منطقة خالية من الشاطئ، فسأله»

«أين شعب الأنا»

«استرجع وأخذ حمام نسيم»

«أليس من الأجمل أن تروح»

«جاءت الشمس الدافئة ومع ذلك لم تأكل بعد وجبة الضيف فصاحبه لتعمل

«أرسل لنا طعاماً يمكنك أكله»

«ثم نظرت حولها على الشاطئ، وقالت»

«لا يوجد شيء شريح لونه».

«لما كان منه إلا أن أحضر بطانية من المركب نلنا عليها جنبا إلى جنب، وكان قربه منها يتجرها لقات له».

«أين اكتسبت لون سرة الشمس؟ هل اكتسبتها من محل عملك في الخارج؟»
«لا، اني راجع لسوي من شمال ألاسكا ولكن قضيت فترة عمل في كاليفورنيا قبل ذلك، حيث لوحض الشمس بنوعها».

«لا بد أن اختلاف الحرارة من بلد إلى آخر قد شايك».

«كان صدمة لي، امتدت إلى أسابيع لأتألم على البرودة في ألاسكا وكان الهواء يجمد طول الوقت وكنت أرشدي طبقات من الملابس رشة من الصوف وفقاراً وعداء طويلاً وسرة لها ياقة من الفرو وظلابة تقيني وفتح النج».

«رطحتك وفالت».

«وهل تركت لحيتك تنمو».

«نعم كانت حلاقتها متعبة، ثم لتحميني من البرد».

«وهل كنت تشبه والدك بلحيتك».

«لا، فنحن مختلفان في الشيء، فهو أسمر وأنا أبيض إلى اللون اللاتج».

«هل تشبه والدتك».

«ربما».

ثم قصت قصة وعاد يقول مغيراً الموضوع

«قصوة الجوز خلق مشاكل لاستخراج البترول مثل كهنية استخراج السحراج ونقله إلى المناطق النائية من العالم».

«لا يمكن استخدام السفن».

«البحار تتجمد لمدة طويلة من السنة».

«كنت أظن أن الطريقة المثلى هي استخدام الأنابيب».

«نعم، هذا ممكن فوق اليابسة».

«كيف تعرف مكان البترول لاستخراجه».

«نيس أولاً صورا من آخر وتكوين الصخور الموجودة على شتى الالاف الأقدام».

«تستخدم الآلات لمعرفة التغيرات في مغناطيسية الأرض وسرة جاذبيتها. أو تستخدم جهاز الزلازل لاجتات زلازل صناعي يخرج أمواجاً صير في الجبال مختلفة بغير متفاونة بين الصخور. وعندما تعثر على تكوين الصخور للطلوب تقوم بنحارب عليها. وتندي بعض منها في مكثي».

«نهضت وأخذت تنفخ ملاءتها وهي تقول».

«يجب أن أذهب إلى المركب فقد حان وقت رجوعنا يا رايان».

«تبعها إلى المركب وهو يغلب البطانية، ولنا وصلا، ارتدى رايان قميصه وراحا يتناولان طعماهما».

«استنعت بيومي يا رايان... وأشركك لذلك».

«لانه من ذواعي سروري أن تكوني معي».

ثم أدار المركب واتخذا طريق العودة على مهل. وكانت الشمس تميل إلى الغروب، وتعكس أشعتها على المياه الملامنة. وكانت الزوارق قد عادت ما عدا مركب أوانين».

وتبتهت مارينا إلى أنها في مياه غريبة عنها، فأخبرت رايان ولكنه اكتفى بالقصص. وبعد فترة رآته يمشي إلى شاطئ، في بقعة مترازية ليعطها الأشجار الكثيفة».

«قارتايت مارينا وسأته».

«أين ذهب الأبناء».

«يستضي الليل هنا».

«حاولت أن تأخذ عجلة القيادة منه، ولكنه ألقاها بعنف جانباً فسقطت فوق حلقه من الخيال».

«لا يمكن ذلك فوالدتي ستغلق لغيابنا ولا حق لك في فعل ذلك».

«لا يجني، بل سيقضي هنا».

«فهبت تقول».

«أرجوك يا رايان عديني إلى المنزل».

«وكان المساء قد ساد والمراء أصبح بارداً، فمل نفسي بعد طول الليل، وهي لا

حول لها ولا قوة.

«وهل أدع هذه الفرصة الذهبية؟»

«وهل هذه إحدى حيلك كي تبعدني عن والدك؟»

«أنت وأنا هنا فلما لا نتنزه القصر؟»

«ليست لك أي مبدى... وأنت انسان قاصر».

ثم قطرت من المركب وأخذت تجري نحو الأتجار والمعرض في ثبات العليق الشائك. ولكنه لحق بها وأمسكها وقال:

«متبئين معي حتى اذا اضطررت أن أفيذك بالحيال. واذا حاولت الفرار مرة أخرى فليست مسؤولاً عما يحدث».

وارقت على إحدى الأرائك ولكنه جلس بجانبها ولما ابتعدت عنه قال:

«أعطني لي يا حبيبي، وأعطني ما أريد وما تريدن، ولن تسمى على ذلك أبداً».

أخذت تكي فقال لها:

«سأريك كيف يكون حب الشباب فأنا الريح لا الحريق كوالتي».

ثم عانقها فشعرت أنها أصبحت جزءاً منه وحاولت أن تقاومه فلم تفلح، ثم فكرت أن تستعمل سلاح الكلام. فطالت:

«لن تتلني لم تتركني كما ذكرت لي. ولن أطوق عنك شاكراً فأنا لست من اللتيات اللواتي يهين رجلاً ثم يشاهدنه يلعب وهو لا يبدى أي بادرة للعودة. أنا أحب والدك يا رايان وهو يثق بي، ولن أجعله بأسف لكل هذه الشكوك. كانت تقول هذه الكلمات دفاعاً عن نفسها، لرد قائلاً:

«حسنًا، لك الآن في أمان ولن أمسك فقد أصبحت والدة لي».

والفرد... نعم فيزواجه من والد رايان تصبح زوجة أبيه، ومهما حاولت أن تبعد هذه الكلمات عنها فقد أخذت تدور في ذهنها.

وفلا صامتين طوال رحلة العودة في الصباح الباكر، وقد أمضت ماريينا ليلاً قللاً منقطعة بقطرها. أما رايان فقد نام نوماً شيقاً وكان نفسه مستظلاً ولا

بد أنه كان متعباً، أثناء عمله، أن ينام في أماكن متعبة مثل نوم المركب.

وكانت رائحة الزهور جميلة والطيور حولها تطير وتلحق في الجو. وكانت

مارينا تشعر بالنعاسة وتأسف لأنها لا تتمتع بالجمال المحيط بها.

وفلا طوال رحلة العودة في السيارة صامتتين وعندما التزمت الرحلة من نهايتها قالت ماريينا:

«لا بد أن أجد والديتي فور رجوعي وأخبرها بما حدث».

ولكنها شعرت مكانك».

«والديتي تعرفن هل أخبرتكم؟ هل تأمرتم كي أبقي معك طوال الليل؟»

وبدأت تسأل نفسها.

فل تأمرت جوزفين معه فعلاً؛ ولكن لماذا؟ ولما لا؟ فلما يتشاركن في الرأي

بأن ماريينا يجب أن تترك هارلورد ولا تزوجه. وعند وصولها تركت

مارينا السيارة قبل أن يتمكن رايان من إقناعها، ثم قالت لنفسها أنها

يجب أن تخبر هارلورد. لحق بها رايان وأمسك بيدها وقال:

«نعالي لأريك شيئاً من حيلك أن تربيه».

وفي اليوم التالي بجوزفين طالت ماريينا:

«كيف تفعلين بي هذا؟»

فكنه قادها إلى غرفة والده التي لم ترها من قبل. وفتح الباب ودفعها داخل

الغرفة. فلم تجد أباء فيها، بل تسمرت في وقتها إذ رأت شيئاً لا يصدقته عقل.

شاهدت في كل ركن من الغرفة وفي كل شبر منها صورة فوتوغرافية تشابه

نفسها إلى حد كبير. فالعنان لوزيدان مثلها تماماً والدهم مكتشرون والمهاجرين

مقرسان وعظام الوجودين العالميين مثلها بالوسط. ولكن الذي حلق كل شيء في

الشيء هو لون شعرها البني المائل إلى الذهبي... إذن رايان يشبه والدته.

وكانت غرفة هارلورد محراباً لزوجه الراحلة التي لم يتسها أبداً، وكان هذا

الشعور يفسر أشياء كثيرة. فالكلمات الغريبة التي كان يقولها بأنه يعرفها منذ

مئات طويلة وأنه انتظرها لترجع إليه وعن التوب الأستر وعن الطريقة التي

أمر بها رايان ألا يقترب منها.

امتلاً قلبها بالشفقة عليه. ثم استدارت على صوت هارفورد وقد تطاير
شرر الغضب من عينيه. بما أخافها.
«الآن، أمضيت الليل مع ولدي. وأصبحت ملكاً له!»
لحزمت نحيباً ولكنه تراجع، فقالت:
«هذا ليس صحيحاً يا هارفورد. نعم أمضينا الليل معاً في المركب ولكن كل
واحد كان بمفرده».
«أنا لا أسدقك. فأني امرأة تضي الليل معه لا تبعد عن ذراعيه... انتي أعرف
ولدي جيداً».

«هارفورد، أين الثقة؟»

«تتكلمين عن الثقة؟ أنا لا أثق قبك بعد الآن».

وكان يتكلم ولا يدري ماذا يقول وكأنه يكلم شخصاً آخر... ربما كان يكلم
المرأة التي عاشت تقيّة في خاطره لسنين طويلة
الأحلام ذهبت إلى غير رجعة. الأحلام التي وراء الأفق ووراء هذه الأحلام
جاءت الحليّة.

١٠ - أقدام على الرمال...

انتهى كل شيء.. وأصبحت ماريثا وحيدة وأطلت من نافذة غرفة الاستقبال
في منزلها وهي تتسائل: متى تعود والدتها؟ أصبح ميسي الأفق. وهارفورد
ورايان من الماضي وانتهى فصل من كتاب حياتها. وأصبحت كذلك بدون
عمل لاستقبالها حسب رغبة هارفورد عندما خطبها.
ولم يشعر أحد برحيلها، فبعدما هربت من وجه هارفورد الغاضب كان كل
واحد منهم في غرقته. وبتحت هي وحيدة، كأنها نقيت إلى جزيرة بعيدة.
ودق جرس التليفون كما دق مرات كثيرة ذلك الصباح واليوم السابق منذ
وصولها. ولكنها تجاهلته فلم ترد... معها كان الطالب... هارفورد أو والدتها أو
رايان - فلن ترد عليه إذ ليس لديها شيء تقوله لأي منهم.
ولم تأخذ إلا معطفها ومضت إلى البلدة واستقلت الأوتوبس إلى
تورونتو. ثم أول فطار إلى منزلها وتركزت والدتها بجميع الخطام.
ولكن مرّ يومان ولم تحضر والدتها. حتى المكالمات الهاتفية كنت، وكان صمت
الهاتف بعد رنين مستمرّ يؤثر على أعصابها وأكثر مما فعل الرنين الدائم.
وفي الليلة الثالثة دق جرس التليفون في الفجر، وكان رأسها يدور من تأثير
النوم ومقاومتها تنحدر أمام ضعفها. نزلت ماريثا إلى الصالة وودت:
«ماريثا! حبيبي... حاولت كثيراً الاتصال بك. هل أنت بخير؟»
«نعم. وشكراً يا أمي...»
«أنا قلقة عليك يا عزيزتي. لماذا لم تردني على التليفون؟ يا حبيبي رايان يود

أن يكلمك.

وضعت ماريثا الساعة ورجعت إلى سريرها. لكنها لم تسم بل وقعدت متعطشة وانتظرت أن يدي جرس التليفون ثانية. ولكنه ظل صامتا حتى بعد طلوع الشمس، ولما حاب أملاها راحت في سبات عميق، أيقظها منه زنين جرس الباب.

ولما نظرت في ساعتها وجدت أن النهار انتصف فالتفتت الروب وعبطت درجات السلم. لا بد أن تكون والدتها جاءت أخيراً ولكنها تذكرت وهي تفتح الباب أن والدتها معها مفتاح.

ورأت رايان وقد وضع كفتفه في الباب وظل يدفعه ثم أغلقه ووقف ينظر إليها وهو عائد الذراعين على صدره، وتذكرت أن ملابسها غير لائقة وشعرها مشعث.

وهس يقول:

«تماماً كما توقعت. وجه شاحب وظلال محيط بالعينين ونحول نتيجة لفقدان الشهية... هل نسخ الخطبة أثر عليك لدرجة المرض؟ هل تريدان العودة إلى أبي؟» قالت بهدوء:

«ذهب وإلا استدعيت البوليس».

وقف بينها وبين التليفون وقال:

«إنك تعرفين كيف أصارع النساء وأغلب عليهن؟»

وقادته إلى غرفة الجلوس وظلت أنه غافل عنها فحاولت الوصول إلى التليفون، ولكنه كان متنبهاً إلى هذه الحركة فاستدار وأمسك بها وشدها إلى صدره بشدة. وأيقظها بقرع، لكنها قلصت منه فحسب على ذراعيها وقال لها وهو ينظر إليها: «كوني لطيفة، فإنك عزلاء».

وكان قميص نومها قصيراً ذا صدر مفتوح فقامت له:

«سأكون لطيفة يا رايان. إذا تركتني أردي ملابس. وأعدك ألا أهرب. تركها فأخذت تدلك ذراعيها حيث أمسك بها ثم قال:

«احتظي وعندك لي وإلا سأصرف بما لا يلائم سمعتي... ولن أرحمك هل هذا

ملهم؟»

هزت رأسها وارقت الدرج خطوة خطوة. ولما وصلت إلى نهاية السلم كان قلبها يخفق. وكان عليها أن تعمل ما في وسعها لتجعله يغادر المنزل. وارذنت بظنوناً وبلوذة مضلعة ومشطت شعرها ووضعت بعض المساحيق على وجهها ثم تساءلت هل تجد الحمة والشجاعة لتجعله يذهب؟

ولما نزلت وجدته ينتظر في الصالة وتبعها إلى غرفة الاستقبال ولا بد أنه لاحظ ظروف معيشتها والفرق بينها وبين صبي الألق. ولكنه لم يبد إشارة تدل على ذلك.

أشارت إليه أن يجلس لكنه ظل واقفاً ثم قال:

«والدي يريد رؤيتك. وود أن يفسر لك كل شيء، ويفضل أن يكون التفسير شفهاً وليس مكتوباً».

وأدرك كل شيء. ولا أحتاج إلى تفسير.

«حسناً إذا لم تسمعها منه فاسمعها مني. ولينداً من البداية. والداي تزوجا في صدر شبليها إذ لم يكن عمر كل منهما يتعدى التاسعة عشرة، وكان أبي على علم بأن والدتي تعاني من مرض القلب وقد حذرهما أحد الأطباء من الالتجاء لكنها لم تأبه به وأقنعت والدي بأنجاب طفل كانت في أشد الشوق إليه. ثم توفيت بعد ساعات من مولدي عرفت خلالها أنها أنجبت ولداً، وهستت إلى هارفورد أن يحسبه رايان هارفورد تيمون».

ونظر من النافذة ثم قال:

«كانت تعرف أنها لن تعيش، ولكنها أخبرت والدي في النهاية أنها تأسف لفرقه. فقد كانا متحابين، وبقي والدي مقيماً على حبها بعد وفاتها حتى أنه حول غرفته إلى محراب يقدس فيه ذكراها. وأقسم ألا ينساها وألا يتزوج أبداً».

ثم تقدم رايان. ووقف أمامها وأضاف:

«ال أن قابلك لم أراك تشبهينها. وبالرغم من أنه عالم يفكر باتزان وبهقلة كان يجزم بأنها رجعت كي تعيش في شخصك».

نظرت إليه بعينين واسعتين وقالت:

«كان متعباً أن يأتي ويقف بجانبى ويراقبني وأنا أسع المعدادات والآلات استعداداً للتجارب. ولم أفهم السبب».

«والآن؟ هل فهمت السبب؟ وهل فهمت سبب دعوته ولذلك كان يعانقك ويلاطفك؟»

«لم يلمسني كما تظن حتى ولا بعد الخطوبة. بل كان يعاملني بكل احترام».

«هذا ما أعنيه. لقد اعتبرك زوجة وأنت لست كذلك».

«ولماذا تتعاركان ذاتياً؟»

«كان يعاقبني لأتني السبب في وفاة والدتي. وكان عليّ حمل الوزر طول حياتي.

وفي الحقيقة كان يلقي جزءاً من الذنب على نفسه».

ثم قال:

«لقد أيقنتك معي طول الليل في المركب. وكان ذلك يعلم والدتك لأتني أعرف أنه سيظن بنا الطنون. وأتني كنت أمل أن يكون ذلك كافياً ليثوب إلى رشده».

«وأدخلتك غرفته كي ترجعي أنت أيضاً إلى عقلك وإلى الحقيقة».

لم يبق شيء بعد ذلك. وتركنا مارييتا لرايان الخطوة التالية فقال:

«كلت والدتك مرة بالهاتفون. واشتركتنا في حديث طويل عنكميا واكتشفت

معارضتها للخطبة فشجعته على قبول الدعوة بأن تأتي إلى مبنى الأقن كي

تصححك بفسخ الخطبة».

«وهل هذا السبب الذي ذهبت لأجله إلى المحطة لانتظارها؟ وكنت أتساءل كيف عرفتها».

«إنها مثلك وتهديك سلامها. ويكنني أن أقول لك إنها تتقارب مع والدي

بسرعة. وقد أقتنعت أن يجمع الصور الفوتوغرافية من غرفته وهي تأمل أن يمضي

في الحياة، في يوم قريب. مع شريكة جديدة».

ثم ابتسم وقال:

«وفي أي حال هي تشبهك كثيراً وبذلك تشبه والدتي أيضاً. ولكنها تكبرها

كثيراً».

أمها ومارفورد؟ الفكرة أدهشتها في البداية ثم رأتها كثيراً.

ثم قال:

«ولا بد أن تعرفي كذلك أن التوتر الذي يقوم بيني وبين والدي خفيف كثيراً».

«وكان أميناً في قوله أنه أبهى عاطفة الأبوة تحوي تحت يد من حديد وأصبحتنا

الآن صديقين... علاوة على أبي وابنه».

ثم سألته مارييتا:

«هل هذا كل ما هناك؟»

«وهل عندك ما تقولينه؟»

فسألته عما يقصده فرد بقوله:

«في ليلة جميلة سمعت منك عبارة، وما زلت أتساءل إذا كانت صحيحة».

«بأنتي أحبك؟ قلتها تحت التهديد... وقد سمعتك تقول لوالدك إنك عمت ما في

وسمعت كي تجعلني أحبك. حتى يرجع إلى عقله. فما فائدة هذه العبارة الآن؟ وإني

أعرف رأيك في النساء فلا تريد روابط ولا أطفال تعوق طريقك. وأنت تعرف

أيضاً رأيي فيك. أخبرتك بذلك مرات عديدة».

«إذاً هذا كل شيء».

ثم وقفنا ينظران إلى بعضهما البعض، هو بنظرة لا مبالاة وبرود وهي غير

مصدقة - أنها لن تراه ثانية بعد أن طردته من حياتها... ثم قالت بجمود:

«الوداع».

«الوداع يا مارييتا».

وسال عليها يعانقها ولكن هذه المرة كانت عاطفته قد امتزجت بالخشان

فخضعت لعاطفته الجديدة... فرقته وحانه بدلاً من قسوته السابقة عليها.

ونظرت إليه وهو يتركها بعدما جعلها تتجاوب معه وترد قبالاته ثم تركها وألقه

نحو الباب... فامتلات عينها بالدموع وقالت له:

«رايان - خذ الحب ثم اتركه وأذهب. هل تؤمن بكل كلمة من هذه العبارة؟»

«نعم أؤمن بذلك. ولكن المعنى يختلف فقد أصبحت العبارة الآن لم أتمكن

من أخذ الحب ولذلك يجب أن أذهب... الوداع يا مارييتا».

ثم انجده نحو الباب ثانية. ولكنها هزعت وراءه وهست تقول:

«لا تذهب. قل لي معنى هذه العبارة أرجوك».

«أليس من الأفضل أن تقول ماذا تعنين؟»

ولم يقول لسانها على الكلام ثم قال لها:

«إذا لم تكني قادرة على الكلام أخبريني بالفعل».

فجرت إليه وطوقت خصره بلواعيها وألقت برأسها على صدره فقال لها هامساً:

«انظري إلي يا حبيبتي...»

ولما نظرت إليه قال:

«أحببتك من النظرة الأولى، وعرفت لماذا اختارك والدي، فأنسبه الذي يجتمع

بوالدتي لا يصدق عقل. وقد عرفت من البداية خطأ والدي وذلك لصغر سنك،

وكنت أعلم بالمحافظه بصور والدتي في غرفته وأعرف أنه يتخيل أن زوجته

الحبيبة قد عادت إليه وأنه يحاول أن يمزج شخصيتك بشخصيتها، وكانت

المشكلة هي كيف نجعله يعرف خطأه ونجعلك تعرفين خطأك».

ابتعدت عنه قليلاً وقالت:

«ولماذا تنعاركان؟ ولماذا يبدو أنه يكرهك؟»

«أذكرني انه تألم لمدة اثنين وثلاثين عاماً. كان يعاني فيها الشوق لحبه المفقود

ولما كبرت قليلاً لم يكن عادلاً وكان يلومني لموت والدتي وأخيراً أعادته سعادتني

بك».

ولكنها كانت تريد المزيد من التأكيد فقالت:

«ولكن يا رايان... لقد عرفت دورين وقضيتها علي».

«عرفتها بهدف أن أثير غيرتك، فهل نجحت في ذلك؟»

«لقد ذهبت الأمرين».

«انتني سعيد بذلك، وأسف يا حبيبتي، لكنني أحذرك لأن أكون العاشق الرقيق

دائماً. ولكن كنت أود أن أحارب والدي بكل الأسلحة التي أملكها... بقولتي

وشبابي... حتى أنال المرأة الوحيدة التي أحببت حياً صادقاً، والنسي أريد أن

أفعلها زوجة لي وأن تبقي بجانبني في كل دقيقة من حياتي. والآن يا حبيبتي هل

عرفت كم أحببك؟ وكم ألتني الصفات النسي أطلقتها علي؟ ولماذا أردت، هل

أجبرتك، أن تعترقي لي في تلك الليلة بأنك تحببتي؟

وأجعلك ترجعين أبشاً إلى غفلك باستحالة الزواج مني؟

فكانت له وهي في حيرة:

«هل تنوي الزواج بي؟»

فضحك عالياً وقال:

«هل أصبر على الزواج بك. وستضعين خاتمي في أصبعك وتحملين أطفالي، أما عن

حزبتي فتصبح عطيفة إذا كانت مشتركة بيننا. وعندما أجوب الصحاري في

المستقبل ستترك وراثة أترين لأقدامنا على الرمال».

هذه قايين

شبكة ايميل الثقافية